

ثقافة الولاء

دراسات تطبيقية في اللسانيات العربية
من منظور متحيز

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

دكتور

خالد فهمي

منتدی سور الأزبکیه

WWW.BOOKS4ALL.NET

ثقافة الولا

**دراسات تطبيقية فى اللسانيات العربية
من منظور متحيز**

دكتور

خالد فهمي

كلية الآداب / جامعة المنوفية

رقم الإيداع

١٦٢٩٠

الترقيم الدولي I.S.B.N.

977-383-084-5

حقوق النشر

الطبعة الأولى ٢٠٠٧

جميع الحقوق محفوظة للناشر

إيتراك للنشر والتوزيع

طريق غرب مطر أمانة عمارة (١٢) شقة (٢) ص.ب : ٥٦٦٢

هليوبوليس غرب - مصر الجديدة

القاهرة ت : ٤١٧٢٧٤٩ فاكس : ٤١٧٢٧٤٩

لا يجوز نشر أى جزء من الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أى نحو أو بأى طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بخلاف ذلك إلا بموافقة الناشر على هذا كتابة ومقديماً .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**إهداء
إليها قطعةً مني!**

خالد فهمي

فهرس الموضوعات

- المقدمة ص ٥
- الدراسة الأولى : أثر شواهد شعراء النصرانية فى الاحتجاج ص ١٨
لصحة التراكيب القرآنية.....
- الدراسة الثانية : الإسهام الأثنوي فى الدرر اللغوى العربى ص ٦٧
- الدراسة الثالثة : إثار الوجود وأثره فى صياغة ص ١٠٦
المصطلحات النحوية
- الدراسة الرابعة : وأد الهيمنة : المعاجم الثنائية ذات المداخل ص ١٣٤
العربية فى التراث اللغوى العربى
- الدراسة الخامسة : أثر إرادة الإقليم فى انتقال الألفاظ الإسلامية إلى ص ١٧٦
المعاجم الأجنبية
- الدراسة السادسة : العناية بالمعرب فى القرن العاشر الهجرى ص ١٩٨

مقدمة

رَبِّ عَوْنِكَ

﴿ اللَّهُمَّ عَلِمْتُ أَنْوَاعَ رِبِّكَ أَسْمِعِينِ ، وَرَبِّكَ أَوْ الْبُؤْ ، وَرِبِّكَ أَنْتَسِبُ ،
وَمَنْزِلَةَ أَمْرِكَ وَمَعْرَفَةَ إِسْمَائِكَ ، وَرِبِّكَ أَسْأَلُ لِعِلْمِنَا سَلَامًا
بِالْمَعْرِفَةِ ، وَصِدْقًا قَطْعًا مَلُوكًا بِالْحَقِّ ، وَأَمَلًا مُنْقَطِعًا عَنِ الْخَلْقِ ، وَبِعِصْمَةٍ ﴾

فالولاء تحييز! والتحييز بهذا المعنى بعض دين وإطار عقيدة، هذه جملة موجزة شديدة التكميف، مقصود من وراء كثافتها وعمقها، أن تؤسس لعلم ضخم، ومشروع ثقافي وفكري متميز معجون ومختمر بذرات تراثنا الإسلامي، وهذا العلم القديم الذي يُرجى بعثه من جديد يسميه الدكتور عبد الوهاب المسيري في كتابه الجريء : (العالم من منظور غربي) ص/٤٢ : فقه التحييز ..

ونحن عندما نصف فقه التحييز بأنه علم قديم يُرجى بعثه من جديد، لم نتجاوز الحقيقة مطلقاً، ذلك أن علماء الأمة الإسلامية منذ انبلاج نور فجر نهضتها مع عصر التابعين رضوان الله على الجميع، كان واضحاً تماماً أنهم يدورون في فلك الكتاب العزيز، القرآن الكريم، ومراجعة يسيرة لأي مؤلف قديم في عمر هذه الحضارة ينبئك بهذا الذي نقوله .

وتصفح صحيح البخارى رضى الله عنه - يوقفك على أمر مدهش ربما لم يعره أحد الالتفات الكافي - ألا وهو أنه بدأ بكتاب كيف كان بدء

^١ من دعاء لأبي حبان التوحيدي في البصائر والنخائر (وداد القاضي) ٤/٥٠ .

الوحي، ثم نتى بكتاب الإيمان . وهذان الأمران عندنا هما أول أساس فى هذه المقدمة المقترحة لفقه التحيز إذ إن رؤانا وتفسيراتنا للعالم والظواهر الحادثة فيه . وللقضايا المطروحة من حولنا، والتي تنثور بين الحين والآخر ينبغى أن يُستقتى فيها الوحي، وتُرى من منظار الإيمان الإسلامى. هذه أولى الخطوات على طريق خلق روح علمية لم تغب إلا مع حركة الاستعمار الغربى استطاع - فى مكر وخبث شديد - أن ينحى هذا البعد فى صراعه مع الكنيسة هناك، وأن يصتره لنا، ويفرضه علينا، ويصبغ مجتمعاتنا برويته، ويلبسنا بمساعدة جوقة التابعين المنهزمين نفسياً - زيّه ورداءه ، ويُنمط حياتنا بنمطه، حتى أصابتنا ميوعة ولم يعد أخذ من فرط قسوتها بقادر على تمييز سوابق سماتنا وخصائصنا الحضارية والمعرفية الباقية فينا الآن ..

والتحيز عند الدكتور المسيرى باعتباره فى تصورنا من المتحولين إلى الإسلام، وعند غيره ممترين هون معه فى هذا الوصف الإسلامى، واعتماداً على الأرضية اللغوية - هو الانضمام والموافقة فى الرأى ص/٢٣ ..

ونحن نعتقد اعتقاداً جازماً أن مصطلح التحيز هو مصطلح مترجم أو مفسر أو كاشف مصطلح قديم ضارب بجنوره فى التراث الفكرى لعالم الإسلام. ولاسيما فى مجال العقيدة هو مصطلح الولاء الذى هو للتناصر أو النصر، ومراجعة الكتاب الكريم تشير إلى وجوب إثباته بين المؤمنين، ونفيه وجعله حراماً بين المؤمنين والكافرين ..

واتباع منهج التوليد الدلالي مع الكلمة أو مع المصطلح المناظر الذي هو الولاء - يخرج لنا الدلالات التالية :

١- التحابّ والتواد و٢- الإيمان

و٣- التساوى بين الأفراد الذين ينضوون تحت لواء الولاء أو على حد تعبير ابن أبي العز الحنفى فى شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية ص/٢٩٢ : « أن أهلها (أى الولاية) فى أصلها سواء » .

و٤- الإكرام و٥- والنصرة والتناصر كما سبق وقدمنا ..

هذه دلالات أولية مولدة من رحم المصطلح الأم الذى هو التحيز أو قل الولاء. وأنت ترى أن الولاء وإن كان مترادفاً من بعض جهاته مع التحيز الذى هو لفظ قرأنى، ذكر فى سياق تحريم الفرار من الجهاد الذى لراه قمة التطبيق العملى لمبدأ الولاء أو التحيز - إلا أنه يرمى أبعاداً لا يراها التحيز، التحيز يرمى الجانب العلمى الحاكم والكامن وراء خدمته لتفسير المقولات من رؤية محددة الأبعاد والسمات والأطر. من هذه الأبعاد الواضحة تماماً مبدأ التسامى الإنسانى الكامن فى خلفية دلالتى الوُدّ والإكرام من جانب، وفى دلالتى النصره والمساواة من جانب آخر ..

أعلم أن الدكتور المسيرى حفظه الله واحد من الذين يحبون لنا أن نتحيز فى كل شئ . حتى فى المصطلح باعتبار ذلك خصوصية حضارية وموقفاً علمياً طبيعياً؛ وأنا من موقف التأييد أدعوه إلى التحشية على مصطلح التحيز بما يدعمه ويقويه من رحم تراثنا بمصطلح الولاء.

وأن يضم إلى مصطلح التتميط الذى هو فرض هيمنة نمط ثقافى غازٍ غريب علينا مصطلحا آخر أمسُ رحما بثقافتنا هو مصطلح البراء بما يحمله من دلالات مثل كراهية قهر الآخرين لنا ، ومن مثل مقاومة أنماط الآخر الغريب الغازى . ومن مثل تنمية الانتماء إلى ثقافة تعتمد التوحيد والإعمار وقودها الذى يسيرها ..

إن الدعوة إلى نشأة مثل هذا العلم القديم الذى يرجى بعثه وإعادة اكتشافه، ليسهم فى بناء صرح نهضتنا، يمثل خطوة لازمة وضرورية، إن رؤية العالم من منظرنا نحن وعيوننا نحن تجعلنا قادرين قدرة المطمئن على استعادة ذاتنا بعد غياب طويل؛ لنمارس دورا مُتعناه زمانا طويلاً ..

إن الدعوة إلى التحيز دعوة إلى مطاردة بقايا رواسب الغزو التى رحلت آثاره المادية العسكرية، هذه الرواسب المتمثلة فى تتميط حياتنا بنمط الغرب الغازى ..

وعلىنا أن نؤمن فى النهاية بالقانون التالى : « أن لكل مجتمع تحيزاته » على حد تعبير المسيرى؛ لأن لكل مجتمع أهدافه وغاياته . والهدف عندنا إعمار دنيا والغاية إرضاء الله .

وبعد فهذه مجموعة دراسات ينتظمها سلك واحد هو أنها صدرت عن عقل موالٍ، متحيزٍ، يعلن أنه لا تزال ثمة مرجعية حاكمة، وذلك هو الخيط المتصل بينها جميعا، حاولت أن تعيد استثمار مصادر الاحتجاج اللغوى لإثبات أن الثقافة الإسلامية لم تقهر المرأة، مما ينال من صدق كثير من دعاوى أنصار الحركة النسوية، ثم حاولت أن تدافع عن التراكيب القرآنية عن طريق استثمارات الشاهد الشعري النصراني ، ثم

تحولت إلى المعجمية لتناقش عددا من المسائل الثقافية والفكرية من
زاوية الدرس المعجمي .

هذه محاولة تدعو ملحة أن نعيد اكتشاف موقعنا، كما تدعو إلى
إعادة استثمار الدرس اللغوي أو اللساني وربطه بتاريخ الأفكار .

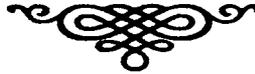
والله سبحانه من وراء القصد،،،

دكتور/ خالد فهمي

كلية الآداب / جامعة المنوفية

القاهرة في ١٤٢٦هـ

م ٢٠٠٦



تمهيد

في تاريخ الهجوم على القرآن الكريم

يمكن العودة بتاريخ الهجوم على القرآن الكريم إلى زمان التنزيل نفسه عندما سجل اتهام المشركين القرآن في المصدر الذي نبع منه، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ [سورة النحل ١٦/١٠٣] وهو الاتهام الذي يدونه تراث أسباب النزول، يقول الواحدي في أسباب النزول عن "عبد الله بن مسلم قال كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر، اسم أحدهما: يسار، والآخر: خير، وكانا يقرآن كتباً لهم بلسانهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بهما فيسمع قراءتهما وكان المشركون يقولون يتعلم منهما فأنزل الله تعالى ما كذبهم ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾"^١.

وهذا الذي رواه الواحدي يرويه السيوطي كذلك ويضيف إليه حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي يقول فيه "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة اسمه بلعام، وكان أعجمي اللسان، يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده، فقالوا إنما يعلمه بلعام فأنزل الله تعالى..... الآية"^٢.

^١ أسباب النزول للواحدي ١٥٩ وعين التمر موضع الأتبار على طرف بادية الكوفة كما في معجم البلدان ١٧٦/٤.

^٢ أسباب النزول للسيوطي ١٠٧، وانظر تفسير القرطبي ١٧٧/١٠ وما بعدها.

وقد روي هذا الكلام في مؤلفات مبهمات القرآن على ما جاء عند السهيلي في كتابه التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء و الأعلام^١ وعلى ما ذكره السيوطي في مفحمت الأقران في مبهمات القرآن^٢. وقد قال المفسرون إن المراد باللسان في الآية هو القرآن الكريم^٣.

وما يهنا في هذه المرويات قدم العلاقة بين اتهام القرآن الكريم، أيًا ما كانت جهة الاتهام وبين النصارى، هذه العلاقة التي امتدت منذ ذلك الزمان البعيد حتى اليوم، وقد أخذ ذلك الاتهام أشكالاً عدة، وطال مناحي شتى تتعلق بمصدره، وبإعجازه، وبموضوعاته، وببلاغته، وبتركيبه الخ.

وقد نهض كثير من علماء الأمة من ابتداء تاريخها لنقض هذه الاتهامات، وبيان زيف هذه الشبهات التي أثارها خصوم الإسلام من ملحدة وباطنية وشعبوية ونصارى ويهود، ومن هذه المؤلفات الشهيرة في باب الرد على شبهات هؤلاء الخصوم ونخص منهم النصارى الذين يتزعمون الحملة الدعائية اليوم ضد عصمة القرآن الكريم ويتهمونه بالخطأ كما ذكر النديم في الفهرست :

١. الرد على النصارى، لبشر بن المعتمر (الفهرست ص ١٥٨)
٢. الرد على النصارى، للجاحظ ٢٥٥هـ (الفهرست ص ٢١٠)
٣. الرد على النصارى، لحفص الفرد (الفهرست ص ٢٣٠)
٤. الرد على النصارى، لضرار بن عمر (الفهرست ص ٢١٥)

^١ انظر: التعريف والإعلام للسهيلي ١٧٣ ونكر أن اسم الفلام للنصراني الذي أسلم جبر لا خيرا

^٢ مفحمت الأقران ٦٩ وزاد اسما آخر رواه ابن حجر في الإصابة (٦٤٩/٣) هو يُخَسُّ

^٣ القرطبي ١٧٩/١٠.

٥. الرد على النصرى، لعيسى بن صبيح المرदार ٢٢٦هـ (الفهرست ص ٢٠٧)
٦. الرد على النصرى الكبير، لعيسى الوراق (الفهرست ص ٢١٦)
٧. الرد على النصرى الأوسط، لعيسى الوراق (الفهرست ص ٢١٦)
٨. الرد على النصرى الأصغر، لعيسى الوراق (الفهرست ص ٢١٦)

وقد أورد حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون فقرة أجمل فيها بعض من ألفوا في الرد على النصرى يقول ٨٣٨/٢ "رد النصرى: فيه كتب مثل كتاب الرهاوي وكتب عمرو بن بحر الجاحظ وكتاب عبيد الجبار المعتزلي، ومقالة القاضي أبي بكر، وكلام الجويني... وكلام لابن الطيب، وكتاب للطرطوشي وكتاب لابن عوف، وكتاب خلف الدمياطي... وتحفة الأريب [في الرد على أهل الصليب، للترجمان]"^١.

وقد كانت غالب هذه الكتابات النصرانية تتوجه إلى عيب عدد من الموضوعات بغية النيل من شريعة الإسلام، كما يتجلى في رسالة الرد على النصرى للجاحظ، وكتاب تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لعبد الله الترجمان الأندلسي^٢.

ولعل أشهر من رد على اتهامات خصوم الإسلام ولاسيما فيما يتعلق بالمزاعم الخاطئة حول لغته وتراكيبه هو ابن قتيبة الدينوري في كتابه تأويل مشكل القرآن ..

^١ كشف الظنون ٨٣٨/٢.

^٢ انظر: موضوعات تحفة الأريب ولاسيما في فصل ما يعيبه النصرى على المسلمين ص ١٣٠ وما بعدها وكذلك رسالة الرد على النصرى (رسائل الجاحظ) ٣٠٠/٣ وكتاب مع الجاحظ في رسالة الرد على النصرى ص ١٦ وما بعدها، كما كتب رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق ٤٢٣ في الفصل الثاني: دفع شبهات القساوسة على القرآن وانتظر بعضا من مؤلفات الرد على النصرى غير هذه، مقدمة تحقيق كتاب تحفة الأريب ص ٢٠.

غير أن اتهام النصارى اتخذ منحى جديدا بدأ واضحا في العصر الحديث وهو التوجه للنص الكريم في أساس بنائه وتكوينه، فبدت الشبهات التي يوجهونها أكثر تفصيلا وتعلقا ببناء النص لغة ونحوا وبلاغة، يقول الدكتور إبراهيم عوض في كتابه عصمة القرآن الكريم: "وفي الفترة الأخيرة ازداد الهجوم على الإسلام ورسوله شراسة"^١ ثم يقول "ومما ظهر في الفترة الأخيرة من كتب تهاجم الإسلام كتاب نافه صدر في النمسا سنة ١٩٩٤م بعنوان هل القرآن معصوم؟ لشخص يتسمى باسم عبد الله الفادي... راح يهاجم القرآن في رعونة وجهل، ويتهم لغته بالضعف والخطأ"^٢.

وهذا الأمر هو ما لمسه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وبدأ واضحا في تقديم الدكتور علي جمعة لكتاب حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين^٣.

وقد كان المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب تصدى لعدد من هذه الشبهات اللغوية ولاسيما عند واحد من كبار المستشرقين الألمان هو تيودور نولدكه الذي كتب في عام ١٩١٠م مقالا يقطر سماً وحقدا على القرآن الكريم بعنوان: لغة القرآن Sprache des Koran في كتابه مقالات جديدة في علم اللغات السامية... وقد استقى نولدكه مقاله من أقوال الشعوبيين القدماء وتجاهل ردود علماء المسلمين على هذه الأقوال في مؤلفاتهم في مشكل القرآن وتفسيره وإعجازه"^٤.

^١ عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين ٧.

^٢ عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين ٨.

^٣ حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين ٩-١٠.

^٤ العربية النصى والقرآن الكريم أمام الطمانينة والاستشراق ٧٨.

ويقول بعدها "وانطلق نولدكه بعد ذلك يعدد ما سماه بعثرات القرآن في اللغة والأسلوب بالقياس إلى ما نسميه اللغة العربية الفصحى وقد ظهر في هذا المقال جهل هذا المستشرق بخصائص العربية ومنهجها في التعبير".^١

ومن قبله أفاض المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم في الحديث عن الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم حتى صح عنده أن "القرآن معجزة لغوية"^٢ ومن هنا يستمد هذا البحث شرعية وجوده من باب أنه يمثل امتدادا من بعض الوجوه لتراث الرد على النصارى قديما، وحديثا لكنه مقصور على دفع ما سمي بأخطاء القرآن النحوية!

بمعنى أنه كما ظهر في تراث التأليف العلمي عند المسلمين في مجال الأديان المقارنة، والملل والنحل مؤلفات هدفت إلى الدفع في وجه من يتهمون الإسلام والقرآن مما مر بنا بيان بعضه، فإن العصر الحديث عرف عددا كبيرا من الدراسات هدفت إلى الأمر نفسه منها على سبيل المثال لا الحصر:

١. إظهار الحق، لرحمة الله الهندي.
٢. حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
٣. الدفاع عن القرآن الكريم ضد منتقديه، للدكتور عبد الرحمن بدوي.

^١ العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام الطمانينة والاستشراق ٧٨.

^٢ النبأ العظيم ص ٨٠.

٤. العربية والقرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق، للدكتور رمضان عبد التواب.
٥. عصمة القرآن وجهالات المستشرقين، للدكتور إبراهيم عوض.
٦. المستشرقون والقرآن، للدكتور إبراهيم عوض.
٧. النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، للدكتور محمد عبد الله دراز.

ولا أحب أن يتبادر إلى ذهن أحد أن ما سأعالجه في هذه الورقة سبقت معالجته في هذه التأليف الكثيرة، فذلك غير وارد؛ لأن أحدا ممن ذكرت وممن لم أذكر لم يلتفت إلى هذه الزاوية التي سنعالج من خلالها دفع الشبهات المثارة ضد كتاب الله العزيز (في حدود ما وصل إليه هذا البحث) من أكثر من جانب هي:

أولاً: أن هذا البحث تأسيسي بمعنى أنه ليس هدفه هو جمع عدد من الشبهات المترددة والرد عليها، وإنما هدفه التوجه إلى أن ما يتهم به القرآن الكريم من احتوائه على أخطاء لغوية نحوية موجود في شعر العرب السابق عليه، والقرآن خاطب العرب بمألوف لغتهم بما في ذلك تحديداً شعر شعراء النصرانية العرب.

ثانياً: أن هذا البحث ستوقف عند الشبهات المتعلقة بتركيبه أو التي تزعم أنه به أخطاء نحوية، غض المسلمون على مر العصور الطرف عنها، وحاولوا أن يلقفوا لها تخريجات كما يزعم الخصوم، ولن يتعداها إلى الشبهات المثارة إلى بلاغته أو معجمه وألفاظه.

ثالثا : أن هذا البحث يرمي إلى إثبات صحة التراكيب التي وردت في الذكر الحكيم اعتمادا على أنها وردت في الشعر العربي الذي هو أعظم مصادر الاحتجاج كثرة في مجال الدراسة النحوية، ولن يتوقف البحث عند مطلق أشعار الجاهلين، مع أن في ذلك كفاية ترد غائلة المتهمين للقرآن الكريم، لكنه سيتوقف عند شعراء النصرانية من العرب، وسيقف عند الاستشهاد بأشعارهم في تأليف المسلمين في التفسير والنحو ومعاني القرآن وتأويل مشكله، ليؤكد أن المسلمين عندما استشهدوا بأشعار هؤلاء النصارى رأوا فيهم عربا يحتج بشعرهم فإذا ورد التركيب في أشعارهم كان في ذلك ردًا لدعاوى خصوم زماننا من النصارى وأشياهم الذين ينالون من كتاب الله لأغراض تنصيرية خبيثة.

رابعاً : أن هذا البحث سيعتمد في رصده لشعراء النصرانية العرب المحتج بشعرهم في تراث النحو العربي من العصرين الجاهلي والإسلامي على قوائم الأب لويس شيخو اليسوعي الذي ألف سفره:

شعراء النصرانية قبل الإسلام.

شعراء النصرانية بعد الإسلام.

وسنغض الطرف عما وجه إليه من انتقادات حول توسعه في ضم شعراء كثيرين ليسوا من النصارى، كالمسؤول بن عادياء من شعراء ما قبل الإسلام وهو يهودي، وكأبي تمام من شعراء ما بعد الإسلام وهو مسلم!

وبغض الطرف عن انتقاد الأب لويس شيخو اليسوعي في
صنيعه هذا مجازاً منا له يمثل كما يقال سعيًا من جانبنا مع هؤلاء
المنصرين إلى نهاية المطاف والشوط؛ بمعنى أن شعراء النصرانية
سيكوتون عمود الصورة في هذا البحث من جانب، وأن شعراء
النصرانية الذين سنورد قوائمهم مقتبسة من واحد من رجالهم، حتى لا
يشغب علينا أحدٌ بشئٍ ينال من قيمة الدفع الذي سيرد اتهاماتهم، لأنه في
هذه الحالة - سيكون قد أتى عليها من الأساس، أو من القواعد .



الدراسة الأولى :

**أثر شواهد شعراء النصرانية
في الاحتجاج لصحة التراكيب القرآنية**

أثر الشواهد الشعرية النصرانية في بناء القاعدة النحوية في العربية

(١) أولية الشعر في باب الاحتجاج النحوي :

لا ينكر أحد في مجال الدراسات اللغوية والنحوية عند العرب ما للشاهد من قيمة في إثبات صحة القاعدة المحتج به عليها أو نفي الصحة عنها!

ذلك أن الشاهد "عند أهل العربية: الجزئي الذي يستشهد به في إثبات القاعدة لكون ذلك الجزئي... من كلام العرب الموثوق بعربيتهم"^١.

والشاهد بذلك هو الدليل المعتبر الذي يؤسس للقاعدة النحوية في الدراسة اللغوية عند العرب وهو يقترب كذلك من مصطلح آخر هو مصطلح المثال الذي يعرفه التهانوي بقوله "المثال، بالكسر، يطلق على الجزئي الذي يذكر لإيضاح القاعدة، وإيصاله إلى فهم المستفيد، كما يقول الفاعل كذا ومثاله زيد في: ضرب زيد، وهو أعم من الشاهد وهو الجزئي الذي يستشهد به في إثبات القاعدة؛ يعني أن المثال: جزئي لموضوع القاعدة يصلح لأن يذكر لإيضاح القاعدة. والشاهد جزئي لموضوع القاعدة يصلح لأن يذكر لإثبات القاعدة"^٢.

وقد قلنا إن مفهوم المثال يقترب من مفهوم الشاهد؛ لأنه لا يطابقه، ولا يطابقه كذلك النظير إن وسعنا دلالاته وسوينا بينه وبين المثال، ولن نتوقف إلا أمام الشواهد النصرانية؛ لأننا نريد إثبات أن ما

^١ كشاف اصطلاحات الفنون (لطفی عبد الباقی) (شاهد) ٩٩/٤ .

^٢ كشاف اصطلاحات الفنون (رفیق المصمم) ١٤٤٧/٢ وانظر كذلك (نظير) ١٧١/٢ .

ورد في القرآن الكريم من تراكيب قيل إنها مخالفة للأجرومية النحوية العربية مسبق بما يؤيده ويؤزره مما ورد في أشعار شعراء النصرانية العرب؛ لأننا لا نهدف إلى الإيضاح في مقام الاتهام، وإنما نهدف إلى إثبات صحة ما نطق به النص العزيز ومهمة الشاهد ووظيفته كما نقلنا هنا هي هذا الإثبات والتدليل على ما جاء في القرآن الكريم.

وهذا اللجوء من جانب البحث إلى تحكيم شواهد شعراء النصرانية العرب ردًا لاتهامات الحاقدين على القرآن الكريم بأن فيه أخطاء على مستوى التراكيب-حاسم في إسكاتهم من وجهة نظرنا.

وقد سبق إلى شئ قريب من هذا الدكتور إبراهيم عوض عندما رجع إلى المعاجم التي ألفها نصارى في بعض ردوده على ما اتهمت به لغة القرآن الكريم، يقول في الرد على من خطأ استعمال الفعل (نال) بمعنى وصل "وقد رجعت إلى عدد من المعاجم التي ألفها نصارى لأرى ما تقول عن هذا الفعل (يعني نال) فوجدت البستان و الوافي لعبد الله البستاني والمنجد المشهور والرائد لجبران مسعود تقول جميعاً في مادة نيل: "تالني من فلان معروف" أي وصل إلي منه معروف. وفي مد القاموس لإيوارد وليم لين Edward William Lane في المادة ذاتها أن من معاني الفعل نال it reached him, come to him بمعنى وصل إليه".^١

بذلك يكون صنيعنا هنا في العودة إلى اعتبار شواهد شعراء النصرانية له ما يسوغه في هذا السياق.

^١ عصمة القرآن ص ٢٤.

وتوقف هذا البحث أمام الشاهد الشعري لشعراء النصرانية العرب له ما يسوغه من أكثر من جانب لعلها أهمها هو كثرة الاستشهاد بالشعر في بناء النحو العربي مقارنة بغيره من مصادر الاحتجاج والاستشهاد، فكتاب سيبويه مثلا يستشهد بألف وستة وخمسين شاهدا شعريا^١.

ومسألة التزديد في الاستشهاد بالشعر راجع إلى القيمة التي احتفظ بها الزمان في نفوس العرب تجاه هذا الفن القسولي، حتى استقر أن "الشعر ديوان العرب"^٢، يقول السيوطي فيما نقله عن ابن فارس: "الشعر ديوان العرب.....منه تعلمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله، وغريب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم"^٣ وأنا أحب أن أقف أمام قول السيوطي إنه حجة فيما أشكل من كتاب الله تعالى، فنحن عندما نتوقف أمام شواهد شعراء النصرانية ولاسيما في الجاهلية نكون في أمن من اتهامنا بالانحياز لدليل غير موثوق به، فالشعر كان ولم يزل في الدرس اللغوي عند العرب هو المضطلع بالتوثيق في المقام الأول، ومن أجل ذلك توجهت - فيما يبدو - إلى الشعر القديم محاولات همة والنيل منه ورميه، فيما عرف بقضية انتحال الشعر الجاهلي والتي تولى الدعوة إليها في العصر الحديث كثيرون كان أشهرهم اثنين من كبار الباحثين وهما مارجليوث في كتاب أصول الشعر العربي والدكتور طه حسين في كتابه في الشعر الجاهلي.

^١ انظر: شواهد الشعر في كتاب سيبويه ١٧٩.

^٢ المزهر ٢/٤٧٠ وانظر كشف الصلوات النقدية والأدبية في التراث العربي ٢٠٤.

^٣ المزهر ٢/٤٧٠ وانظر كشف الصلوات النقدية والأدبية في التراث العربي ٢٠٤.

وقد كان من وراء هذه الدعوة التي رمت الشعر القديم هو إسقاطه وبقاء تفسير القرآن الكريم من غير دليل يقوم عليه، ولا سيما بعدما انتشر الاعتماد على هذا الشعر في تأسيس العلوم الشرعية والعربية عند المسلمين، من هنا يمكن أن نقول "إن الشعر هو أبرز ما احتج به من كلام العرب في تقرير التحديدات والضوابط اللغوية في مستويات الدرس اللغوي"^١.

وفي ذلك يقول المرحوم محمود شاكر: إن الشعر القديم ويقصد الجاهلي "بقي مادة للغة العرب وشاهدًا على حرف من العربية، وعلى باب من النحو، وعلى نكتة في البلاغة وبقي ذخرا للرواة، وركازا يستمد منه شعراء الإسلام، ومنبعا لتاريخ العرب في الجاهلية، بل بقي كنزا لعلوم العرب جميعا"^٢.

ولا أظن أحدًا في حاجة إلى التذكير بأن الشعر الجاهلي السليم المبرأ من العيب ظل محفوفًا بالكرامة والصدق حتى تلقاه العلماء بالشعر إلى أواخر المئة الأولى من الهجرة، وكان قبل أن تفتح أبواب العلوم العربية في عهدها المبكر منصوبًا للتنوق البصير لأعلى البيان الإنساني وأسناها"^٣.

حتى إذا فتحت أبواب العلوم انتصب الشعر القديم شاهدًا يثبت أمورًا وينفي غيرها، للدرجة التي يمكن أن يقال معها إن الاستدلال بعربية الشعر الجاهلي على كون القرآن الكريم عربيًا مبينًا ظاهر جدًا،

^١ الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالاته.

^٢ الظاهرة القرآنية (من تقديم محمود شاكر) ص ٣٧.

^٣ قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام ١١٢٢، ١٢٣.

"ومحال أن يجد امرؤ عاقل أو غير عاقل من الماضيين أو الحاضرين،
ومن العرب وسائر المسلمين"^١ غير ذلك الذي نقول به ونقرره.

ومن ثم يمكن أن نقرر أن " للشواهد وظيفتين أساسيتين:

الأولى : إثبات واقع اللغة في مستوياتها: الأصوات، والصرف
والصيغ والنحو والتراكيب والمتن والدلالة.

الثانية : أنها مأخذ ضوابط اللغة وحدودها، ومنزلة أهل السليقة فيها،
وعلى هاتين الوظيفتين يقوم بناء اللغة"^٢.

وفيما يلي نقل يبين الشعراء الذين يحتج بشعرهم على مسائل

اللغة والنحو:

يقول المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب "أما بالنسبة للشعر فقد
قسم اللغويون الشعراء إلى أربع طبقات:

طبقة الجاهليين : كزهير، وطرفة، وعمرو بن كلثوم.

طبقة المخضرمين : وهم الذين شهدوا الجاهلية وصدر الإسلام،
كالخنساء، وحسان بن ثابت، وكعب بن زهير.

طبقة الإسلاميين : كجرير، والفرزدق، والأخطل.

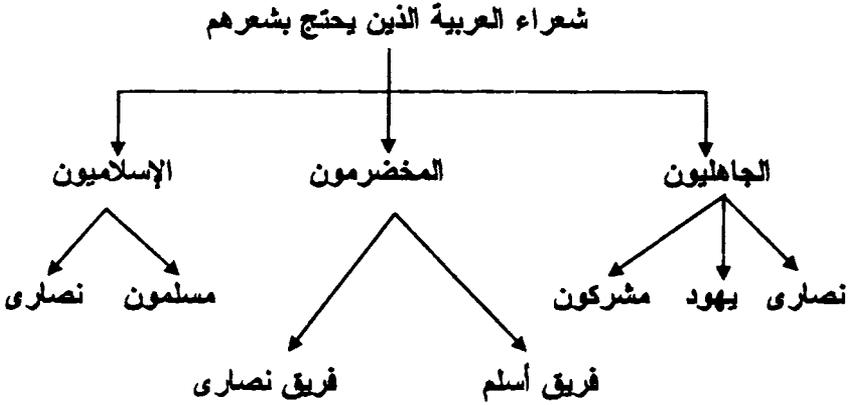
طبقة الموالدين، أو المحدثين : وهم يبدعون في العصر العباسي، ببشار
بن برد، وأبي نواس"^١.

^١ قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام ١٢٢، ١٢٣.

^٢ الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالاته ٤٧.

ثم يقول: "وقد أجمع علماء اللغة على أن شعراء الطبقتين الأوليين [الجاهليين والمخضرمين] يحتج بشعرهم بغير نزاع. أما الطبقة الثالثة، فمعظم اللغويين يرون صحة الأخذ بشعر هذه الطبقة"^٢.

ومما مر يمكن تحديد الذي يحتج بشعرهم كما يلي:



ومن المفيد أن نلفت النظر إلى نص من كلام السيوطي في الاقتراح التفت فيه إلى أن مصادر الاحتجاج لم تفرق بين مسلم وكافر، فهي تشمل ضمن ما شمل كلام العرب قبل البعثة وفي زمنها وبعدها إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين — نظماً ونثراً عن مسلم وكافر^٣، ولعل في ذلك النص ما يساعد على استجلاء الصورة التي يمكنها أن تردّ على من يزعم أن في كتاب الله تراكيب نحوية خرجت على النظام العربي

^٢ فصول في فقه العربية ١٠١.

^١ ثلاث فصول في فقه العربية ١٠١.

^٣ انظر الاقتراح ٣٦.

وخالفته؛ لأن ورودها في شعر عرب غير مسلمين قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وبعدها كافٍ في هذا السياق للدفاع عن القرآن الكريم.

وهو الأمر الذي حدا بالسيوطي أن يقول تحت عنوان الاحتجاج بأقوال الكفار "اعتمد في العربية على أشعار العرب وهم كفار لبعده التتليس فيها"^١ ووسع أبو الطيب الفاسي في تعليقه على ذلك النص فقال "على أن الإسلام والعدالة لا تعلق لهما بهذا الأمر، لأن لغاتهم أمر جبلي سلفي ليس لهم فيه اختيار ولا تأثير"^٢ وبعيدا عن المفهوم القديم للسليقة اللغوية الذي يعترض عليه حديثا^٣ فإن المهم هو أنه لا مدخل للإسلام في تقرير عدالة أصحاب الشواهد.

(٢) شعر شعراء النصرانية العرب مصدرا من مصادر الاحتجاج :

ومن هذا التشجير يتضح لنا أن النطاق الزمني مثله شعراء غير مسلمين سيكتفي البحث بالوقوف أمام شعراء النصرانية منهم وهم كما أوردهم الأب لويس شيخو اليسوعي:

أولا : شعراء النصرانية قبل الإسلام (وتدريجها ترتيبا هجائيا) :

الشاعر	موضعه عند لويس شيخو اليسوعي
١- الأحنس بن شهاب	ص ١٨٤
٢- الأسود بن يعفر (أعشى نهشل)	ص ٤٧٥
٣- أفنون التغلبي	ص ١٩٢

^١ الاقتراح ٤٧.

^٢ فوض نشر الاشراف ٥٦٣/١.

^٣ أصول في فقه العربية ١٠١ والاحتجاج بالشعر في اللغة ٦٩.

- ٤- الأفوه الأودي ص ٧١
- ٥- امرؤ القيس ص ١
- ٦- أمية بن أبي الصلت ص ٢١٩
- ٧- أوس بن حجر ص ٤٩٢
- ٨- إياس بن قبيصة ص ١٣٥
- ٩- البراق اليمني ص ١٤١
- ١٠- بسطام بن قيس الشيباني ص ٢٥٦
- ١١- جابر بن حني ص ١٨٨
- ١٢- جحدر بن ضبيعة ص ٢٦٨
- ١٣- جساس بن مرة ص ٢٤٦
- ١٤- جليلة بنت مرة ص ٢٥٢
- ١٥- حاتم الطائي ص ١٢٥
- ١٦- الحارث بن حلزة ص ٤١٦
- ١٧- الحارث بن عباد ص ٢٦٥
- ١٨- الحصين بن حمام ص ٧٣٣
- ١٩- حنظلة الطائي ص ٨٩
- ٢٠- الخرنق ص ٣٢٣
- ٢١- دريد بن الصمة ص ٧٥٢
- ٢٢- نو الإصبع العدواني ص ٦٢٥
- ٢٣- الربيع بن زياد ص ٧٨٧
- ٢٤- زهير بن أبي سلمى ص ٥١٠
- ٢٥- زهير بن جانب الكلبى ص ٢٠٥
- ٢٦- زيد بن عمرو بن نفيل ص ٦١٩
- ٢٧- سعد بن مالك البكري ص ٢٦٤

- ٢٨- السفاح التغلبي ص ١٨٢
٢٩- سلامة بن جندل ص ٤٨٦
٣٠- سويد اليشكري ص ٤٢٥
٣١- طرفة ص ٢٩٨
٣٢- عبد المسيح بن عسلة ص ٢٥٤
٣٣- عبيد بن الأبرص ص ٥٩٦
٣٤- عبد يغوث بن وقاص ص ٧٥
٣٥- عدي بن زيد العبادي ص ٤٣٩
٣٦- عروة بن الورد العبسي ص ٨٨٣
٣٧- علقمة الفحل ص ٤٩٨
٣٨- عمرو بن قميئة ص ٢٩٣
٣٩- عمرو بن كلثوم ص ١٩٨
٤٠- عميرة بن جعيل ص ١٩٥
٤١- عنتره العبسي ص ٧٩٤
٤٢- الفند الزماني ص ٢٤١
٤٣- قبصة الطائي ص ٩٣
٤٤- قس بن ساعدة ص ٢١١
٤٥- قيس بن زهير ص ٩١٧
٤٦- كعب بن سعد الغنوي ص ٧٤٦
٤٧- كليب ربيعة ص ١٥١
٤٨- المत्मس ص ٣٣٣
٤٩- المتعب ص ٤٠٠
٥٠- المرقش الأكبر ص ٢٨٢

- | | |
|-------|------------------------|
| ص ٣٥٠ | ٥١- المسيب |
| ص ٤٢٠ | ٥٢- المنخل |
| ص ١٦١ | ٥٣- المهلهل أخو كليب |
| ص ٦٤٠ | ٥٤- النابغة الذبياني |
| ص ٦١٦ | ٥٥- ورقة بن نوفل |
| ص ٨٠ | ٥٦- يزيد بن عبد المدان |

**وفيما يلي جدول يبين مدى عناينة المصادر النحوية
والتفسيرية النحوية بالشواهد الشعرية التي قالها شعراء
النصرانية العرب:**

ثانياً: شعراء النصرانية بعد الإسلام :

ومن جانب آخر فإن شعراء النصرانية العرب بعد الإسلام استشهد بأشعارهم في الكتب نفسها مما يؤكد أن النحاة والمفسرين المسلمين لم يروا في الكفر أو عدم الإسلام مانعا من الاستشهاد بشعر هؤلاء، وفيما يلي قائمة تبين شعراء النصرانية العرب بعد الإسلام الذين ظهرت أشعارهم باعتبارها شواهد تثبت صحة ما ورد في القرآن الكريم وسوف نعتمد كذلك على قائمة الأب لويس شيخو اليسوعي في كتابه شعراء النصرانية بعد الإسلام بعد ترتيبها هجائياً.

وسوف يتوقف البحث أمام شعراء النصرانية من طبقتين اثنتين فقط هما طبقة المخضرمين وطبقة الأمويين.

* موضعه عند لويس شيخو اليسوعي	* الشاعر
ص ١٧٠	١- الأخطل التغلبي
ص ٣٨٩/١٢٢	٢- أعشى تغلب
ص ٣٨٩/١٢٩	٣- أعشى ربيعة
ص ٣٧٦/٧	٤- أكنم بن صيفي
ص ٣٨٣/٥٦	٥- امرؤ القيس بن عابس
ص ٣٨٣/٥١	٦- جُحَيَّة بن المضرب
ص ٣٧٥/٢	٧- الحارث بن كلدة
ص ٣٧٧/٢	٨- الحرقة هند بنت النعمان

- ٩- حنين الحيري ص ١٦٢
- ١٠- الزبرقان بن بدر ص ٣٧٨/٢٩
- ١١- أبو زيد الطائي ص ٣٧٨/٦٥
- ١٢- شمعة التغلبي ص ٣٨٨/١١٨
- ١٣- صرمة الراهب ص ٧
- ١٤- عثمان بن الحويرث ص ١
- ١٥- العجاج بن رؤبة ص ٣٩٠/٢٢٨
- ١٦- عبد المسيح بن بقلبة ص ٣٧٦/١٤
- ١٧- عدي بن حاتم ص ٣٧٩/٢٩
- ١٨- العديل بن فرخ ص ٢١٣
- ١٩- القطامي التغلبي ص ٣٩٠/١٩١
- ٢٠- كعب بن جعيل ص ٢٠٢
- ٢١- مرقس الطائي ص ١٣٦
- ٢٢- موسى بن جابر ص ٣٨٨/١١٣
- ٢٣- ميمون بنت بحدل ص ٣٨٤/٦٣
- ٢٤- نائلة بنت الفرافصة ص ٣٨٤/٦٠
- ٢٥- النابغة الشيباني ص ١٣٧
- ٢٦- النجاشي الحارثي ص ٣٧٩/٤١

وليس معنى اكتفاء هذه الورقة بشعراء النصرانية من
المخضرمين أو الأمويين أنه لم يوجد في الكتب مادة هذا البحث أشعار
لشعراء النصرانية بعد ذلك الطبقتين فقد ورد في البحر المحيط ٢٠٩/٦
مثلا نكر لزبيبا بن إسحاق النصراني وهو من شعراء النصرانية في
القرن الخامس على ما أورد لويس شيخو في شعراء النصرانية بعد
الإسلام ص ٢٨١.^١

^١ التفتت البحث إلى ما وجه إلى لويس شيخو من انتقادات تتعلق بتوسعه في ضم شعراء إلى قائمة شعراء النصارى ، لكنه احترم مادة كتابية باعتباره حجة عند النصارى ، كما يمكن مراجعة دراسة الدكتور أحمد محمد للنجار عن شعراء اليهود العرب (كلية البنات/ جامعة عين شمس) ع ٩ لسنة ١٩٧٧ م .

(٢) مناقشة مسائل الانتقاد أو الشبهات المزعومة :

ظهر في الفترة الأخيرة كتابات تهاجم القرآن الكريم، وتدعي أن به أخطاء متنوعة، منها ما هو في التراكيب أو النحو من مثل كتاب:

(هل القرآن معصوم) لعبد الله الفادي؟ وقد طبع في النمسا سنة ١٩٩٤م يقول عنه الدكتور إبراهيم عوض إنه "راح يهاجم القرآن (الكريم) في رعونة وجهل، ويتهم لغته بالضعف والخطأ"^١ ومنها كتاب عنوانه: (الباكورة الشبهية في الروايات الدينية) !

وسوف نعتمد في رد المسائل التي ينتقد فيها هؤلاء المنصرون مواضع من كتاب الله الكريم وبيان أنها ليست أخطاء نحوية بدليل شيوعها في الاستخدام اللغوي العربي، مستثنين في إثبات ذلك الاستخدام على ما ورد في أشعار شعراء النصرانية في أزمان الاحتجاج = على ما جاء في كتابين هما:

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بالقاهرة سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٢) عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين، للدكتور إبراهيم عوض، طبعة مكتبة زهراء الشرق، بالقاهرة سنة ٢٠٠٥م.

بالإضافة إلى ما ورد على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، ثم نثبت ردودنا عليها معتمدين على ما ورد من شواهد شعراء النصاري العرب في كتب النحو والتفسير العربية^٢.

^١ عصمة القرآن ص ٨.

^٢ وقد احتسب الدكتور إبراهيم عوض في كتابه عصمة القرآن بهرود تراكيب مماثلة لما زعموه أخطاء في المواضع التي نكروها من القرآن الكريم - من الكتاب المقدس بمهيد القديم والجديد في نسخته العربية، وزاد فوضع أمورا خارجة من حدود الكلام المنطقي والمفيد.

وسوف يسير البحث في مناقشة مسائل الانتقاه أو الشبهات

المزعومة على المنهج التالي:

١. إيراد الشبهة وفق ترتيب سور المصحف.
٢. بيان قول أهل الشبهة على الخطأ النحوي المزعوم.
٣. النص على الشبهات القديمة التي سطا عليها هؤلاء الخصوم من كتب القوم القدماء.
٤. تخريج هذا الخطأ وتوجيهه في لغة العرب.
٥. إيراد الشاهد النصراني الدال على صحة التركيب القرآني.

(٤/١)

موطن الشبهة المزعومة في الآية

٢/سورة البقرة ١٩٦- ﴿ فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج
فما استيسر من الهدى، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا
رجعتم تلك عشرة كاملة ﴾

وقد وردت هذه الشبهة في كتاب حقائق الإسلام ص ٢٣٦ حيث
قال "موطن الشاهد على هذه الشبهة عندهم هو قوله تعالى ﴿ تلك
عشرة كاملة ﴾ بعد قوله عز شأنه ﴿ فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة
إذا رجعتم ﴾ وفي تصوير هذه الشبهة قالوا : " فلماذا لم يقل تلك عشرة؟
مع حذف كلمة "كاملة" تلافياً لإيضاح الواضح؟ لأنه من ذا الذي يظن أن
العشرة تسعة؟ "١٩

كما يقرر الدكتور إبراهيم عوض في عصمة القرآن هذا الذي
نقلته فيقول إنهم يأخذون ص ٦٦ "على قوله جل من قائل في الآية ١٩٦

من سورة البقرة أن كلمة كاملة لا لزوم لها؛ لأنها توضح ما لا يحتاج إلى توضيح، وإلا فمن ذا الذي يظن أن العشرة تسعة؟!^١.

ومن شواهد ما في شعر شعراء النصرانية العرب في الجاهلية

ما جاء في شعر الأعشى [من الوافر]:

ثلاث بالفداء فهن حسبي وست حين يدركني العشاء
فذلك تسعة في اليوم ربي وشرب المرء فوق الري داء^٢

ومن ذلك أيضا ما ورد في شعر النابغة الذبياني وهو من شعراء النصرانية على ما جاء عند لويس شيخو مما مر بك ذكره قوله: [من البسيط وهو في ديوانه ق ٣/٢ ص ٣٠]:

توهمت آيات لها فعرفتها لستة أيام وذا العام سابع^٣

وفي الكلام عن سر ورود عشرة كاملة بعد إذ وردت ثلاثة أيام، وسبعة" يقول السمين الحلبي نقلًا عن ابن عرفة (أي نفطويه) قال "وإنما تتعل العرب ذلك لأنها قليلة المعرفة بالحساب، وقد جاء: "لا نحسب ولا نكتب"، وورد ذلك في أشعارهم"^٤. وما يهمنا في هذا النقل هو قوله إن ذلك مألوف العرب في مثل هذا التركيب، مما هو ظاهر في جملة "وورد ذلك في أشعارهم" وفي ذلك يقول ابن قتيبة "أراد توكيد ما أوجبه الصيام بجمع العديدين وذكره مجملًا"^٥.

^١ هل القرآن مصوم ١١١ وعصمة القرآن ٦٦ وهي شبهة قديمة أوردها ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢٤٣.

^٢ جاء منسوبًا في الدر المنصون ٢٢٠/٢ والبحر المحيوط ٨٨/٢.

^٣ جاء منسوبًا في الدر المنصون ٢٢٠/٢ والبحر المحيوط ٢٩٤/٦.

^٤ الدر المنصون ٣٢٠/٢.

^٥ تأويل مشكل القرآن ٢٤٣.

وقد أورد البقاعي كلاما نفيسا بعد ذلك في توجيه الآية الكريمة يقول كان مجيء "عشرة دفعا لاحتمال أن تكون "أو" بمعنى الواو، أو أن يكون المراد بالسبع المبالغة دون الحقيقة، وليحضر العدد في الذهن جملة كما أحضره تفصيلا....

ولما كان زمن الصومين مختلفا قال "كاملة" نفيا لتوهم أن الصوم بعد الإحلال دون ما في الإحرام¹.

(٢/٢)

موطن الشبهة المزعومة في الآية

٤/ سورة النساء ١٦٢- ﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، والمقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنوتهم أجرا عظيما﴾

وفي هذه الآية يقول كتاب حقائق الإسلام ص ١٧٤ "نظروا (يقصد أصحاب الشبهة) في هذه الآية وقعت أعينهم على كلمة ﴿المقيمون﴾ فقارنوا بينها، وبين ما قبلها ﴿الراسخون﴾ و ﴿المؤمنون﴾ وبين ما بعدها ﴿المؤتون﴾ / ﴿المؤمنون﴾ فوجدوا ما قبلها وما بعدها مرفوعا بالواو؛ لأنه جمع منكر سالم أما بالمقيمون فوجدوها منصوبة بالياء؛ لأنها كذلك جمع منكر سالم حقه أن يرفع بالواو وينصب ويجر بالياء، وسرعان ما صاحوا وقالوا إن في القرآن خطأ نحويا من نوع جديد هو: عطف المنصوب على المرفوع، أو نصب المعطوف على

¹ نظم الدرر في تلخيص الآيات والسور ١٩٥/٣.

المرفوع، ثم علقوا قائلين: وكان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع فيقول: "والمقيمون الصلاة".

وهو ما يؤكد الدكتور إبراهيم عوض عندما يقول في كتابه عصمة القرآن ص ٤٢ أنهم رأوا أنه "كان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع فيقول: والمقيمون الصلاة".^١

وهذه شبهة قديمة كذلك أوردتها القتبي في الباب الذي عقده في كتابه تأويل مشكل القرآن بعنوان (الحكاية عن الطاعنين) يقول على لسانهم "وأنتم تزعمون أن هذا كله كلام رب العالمين، فأَي شيء بعد هذا الاختلاف تريدون، وأي باطل بعد الخطأ واللحن تبتغون؟"^٢.
ثم عاد فاحتج لقراءة نصب "المقيمين".

وقد ورد ذلك النصب في أشعار شعراء النصرانية من مثل قول الخرنق بنت هفان، أخت طرفة، وهي من شواعر النصرانية كما جاء عند لويس شيخو [من الكامل في ديوانها ق ٤/١-٢ ص ٢٨، ٢٩]:

لا يبعدن قومي الذين هم	سُم العداة وآفة الجُزر.
النازلين بكل معترك	والطيبون معاهد الأزر ^٣

وبعد ذلك يصح قول السمين الحلبي "وقد زعم قوم لا اعتبار لهم أنها لحن"^٤! وكذلك يقول الزمخشري: "ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب

^١ هل القرآن مصوم ١٠٨.

^٢ تأويل مشكل القرآن ٢٦.

^٣ الدر المصون ١٥٤/٤ وتأويل مشكل القرآن ٥٣ ومصادر أخرى كثيرة في حواشيه وشعراء النصرانية في الجامعة ٣٢٤ والبحر المحيط ٤١٢/٣.

^٤ الدر المصون ١٥٥/٤.

ولم يعرف مذاهب العرب، ومالهم في النصب على الاختصاص من الافتتان وغبي عليه أن السابقين الأولين ... كانوا أبعاد همة في الغيرة على الإسلام وذب المطاعن عنه من أن يقولوا ثلثة في كتاب الله ليسدها من بعدهم، وخرقا يرفوه من يلحق بهم^١.

والزمخشري يشير في هذا النص إلى واحد من تخريجات النصب على أنه مفعول به على الاختصاص لأهمية أمر إقامة الصلاة. ومن النحاة من خرجها على النصب على المدح، قطعاً للعطف، يقول البقاعي: "ولما كانت الصلاة أعظم دعائم الدين، ولذلك كانت ناهية عن الفحشاء والمنكر، نصبت على المدح من بين هذه المرفوعات إظهاراً لفضلها"^٢.

وهو ما أكده سيبويه، وقد صنع لذلك باباً عنوانه (هذا ما ينتصب على التعظيم والمدح) أشار فيه إلى الآية هذه ثم قال "ونظير هذا النصب من الشعر قول الخرنق"^٣ الذي مر.

ومتلماً تنصب العرب على القطع مدحا وتعظيماً تنصب على القطع نما وشتما، يقول سيبويه (هذا باب ما يجري من الشتم مجرى التعظيم وما أشبهه)، وذكر أبياتا لعروة بن الورد والنابغة الذبياني^٤ وهما من شعراء النصرانية عند لويس شيخو.

^١ الكشاف ١/٥٩٠ وانظر: الدر المنصور ٤/١٥٥.

^٢ نظم الدرر ٥/٥٠٣.

^٣ الكتاب ٢/٦٤.

^٤ الكتاب ٧٠ وما بعدها.

وما يقال في رد هذه الشبهة بما ورد في أشعار النصارى يقال في رد ما يتوهم خطؤه في قوله تعالى ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء﴾ [سورة البقرة ١٧٧/٢].

حيث قالوا "وكان يجب أن يرفع المعطوف، يعنى الصابرين على المرفوع يعنى الموفون فيقول: والموفون والصابرون هذا قولهم".^١

(٢/٢)

موضع للشبهة من الآية الكريمة

٧/سورة الأعراف ٥٦- ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ يقول مؤلفو كتاب حقائق الإسلام ١٨٦ "وحيث نظروا في نظم هذه الآية توهموا -كذلك- أن فيها خطأ نحويًا منشؤه عدم التطابق بين المبتدأ: رحمة، والخبر: قريب في التأنيث؛ لأن المبتدأ "رحمة" مؤنث، أما الخبر "قريب" فهو في الآية مذكر؛ قالوا: وكان يجب أن يتبع خبر إن اسمها في التأنيث، فيقال: قريبة".

وهو ما يؤكد الدكتور إبراهيم عوض عندما يقول إنهم يخطئون قوله تعالى في الآية ٥٦ من سورة الأعراف.. حيث ورد خبر إن مذكراً على حين أن اسمها مؤنث وكان يجب (حسبما يقول) أن يتبع خبر إن اسمها في التأنيث فيقول قريبة".^٢

وقد التفت الدكتور إبراهيم عوض في دفعه هذه الشبهة المتوهمة إلى رد حاسم شبيه بما نحن بصددده عندما قال "وفي مد القاموس لسوليم

^١ حقائق الإسلام ١٧٨.

^٢ دل القرآن مصموم ١٠٧ وعصمة القرآن ٢٥.

إدوارد لين، ومحيط المحيط لبطرس البستاني والبستان لعبد الله البستاني ولاروس العربي وكلها كما ترى معاجم ألفها نصارى أن الصفة قريب إذا كانت للقرب المكاني أو الزماني تستعمل بصيغة واحدة للمذكر والمؤنث والمثنى والمفرد والجمع^١.

ثم يستشهد على ذلك بشاهد من شعر السموأل بن عادياء اليهودي [من الطويل ديوانه (صادر) ٩٠]:

تعرنا أنا قليل عدينا فقلت لها: إن الكرام قليل

ثم نقل عن النصراني المعاصر الدكتور إميل يعقوب رواية تخطئة من يقول: فلانة جريحة، ويوجب تصويب تلك الجملة وأمثالها لتكون: فلانة جريح!^٢

ومن ذلك قول امرئ القيس [من الطويل ق ٤/٤٥ ص ٦٨]:

له الويل إن أمسى ولا أم سالم قريب ولا البعباسة ابنة يشكرا

ويقول السمين الحلبي: "وقد كثر في شعر العرب مجيء هذه اللفظة مذكرة وهي صفة المؤنث"^٣.

ومن ذلك أيضا قول عبيد بن الأبرص [من البسيط ق ٥/٤٣ ص ١٩]:

فنفضت ريشها وانتفضت وهي من نهضة قريب

ومن شعره كذلك [الطويل ق ٤٢/٣ ص ١١٢]:

قليلًا بها الأصوات إلا عوازفا وإلا عرارا من غياهب آجال^٤

^١ عصمة القرآن ٢٨.

^٢ معجم الخطأ والصواب للدكتور إميل يعقوب ١٠٤.

^٣ الدر المنصون ٣٤٦/٥.

^٤ انظر: عصمة القرآن ٢٨.

ومن ذلك في شعر المنقّب العبيدي [من الوافر ق ٢٩/٥ ص ١٨٠]:
تسدّ بدائم الخطران جنل
خواية فرج مقلات دهن
والدهين: صفة للناقة البكيئة القليلة اللبن^١.

وفي القصيدة نفسها [من الوافر ق ٣٣/٥ ص ١٨٨]:
كان الكور والأنساع منها
على قوراء ماهرة دهن.
وهذه الشواهد قاضية بصحة ما ورد في القرآن الكريم،
ويتأسس القاعدة النحوية اعتمادا عليها^٢.

(٢/٤)

موضع الشبهة من الآية الكريمة

٧/سورة الأعراف ١٦٠ - ﴿وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما﴾

يقول كتاب حقائق الإسلام ١٩٠ "وشاهدهم على الغلط بهذه
الشبهة هو قوله عز وجل "اثنتي عشرة أسباطا أمما" والصواب الذي
توهموه عبروا عنه بقولهم: "كان يجب أن ينكر العدد، ويأتي بمفرد
المعد فيقول: اثني عشر سبطا".

وهو ما يؤكد الدكتور إبراهيم عوض نقلا عن هل القرآن
معصوم فيقول إن من جرأته تخطنته قوله عز شأنه عن بني إسرائيل
في الآية ١٦٠ من سورة الأعراف.... إذ كان يجب (في وهمه) أن
ينكر العدد ويأتي بمفرد المعدود فيقول: اثني عشر سبطا"^٣.

^١ الإبل للأصمعي ١٤٤.

^٢ انظر: المنكر والمؤنث للفراء ١١١ فيه: "الواجبة جديد وملطفة جديد... كما قالوا كف خضيب،
ولحية دهن".

^٣ هل القرآن معصوم ١٠٧ وعصمة القرآن ٢٨.

وقد أفاض معربو القرآن الكريم في تخريج الآية الكريمة، لكن المهم عندنا هو أن أمثال هذا التركيب وردت في أشعار العرب الذين يحتج بشعرهم، وقد ورد مثل ذلك في شعر عنتر بن شداد وهو من شعراء النصرانية عند لويس شيخو يقول [من الكامل ديوانه ١٤٤]:
فيها اثنتان وأربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الأسحم.

يقول السمين الحلبي: "فوصف حلوبة وهي مفردة لفظا بسودا وهو جمع مراعاة لمعناها إذ المراد الجمع"^١.

ومثل ذلك يرد به إذا ما وردت الآية الكريمة ﴿فَلْيَبْثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ [سورة الكهف ٢٥/١٨].

(٢/٥)

موضع الشبهة من الآية الكريمة

١٢/سورة يوسف ١٥- ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئتهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾

يقول مؤلفو كتاب حقائق الإسلام ٢٢٧ "وموطن الشاهد عندهم هو قوله جل شأنه: ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه﴾ بحثوا عن جواب "لما" فلم يجدوه، فرموا القرآن بالخطأ لأنه لم يذكر جواب "لما" ثم قالوا: فأين جواب لما؟ ولو حذفنا السواو لاستقام المعنى".

وهذه شبهة قديمة أورد الرد عليها ابن قتيبة فقال: "وواو النسق قد تزداد حتى يكون الكلام كأنه لا جواب له كقوله... ﴿فلما ذهبوا به﴾"^١.

^١ الدر المنصون ٤٨٦/٥ والمنكر والمؤنث للفراء ٥٧ والبحر المحيط ٤٠٦/٤.

ثم استشهد بشاهد لامرئ القيس [من الطويل ديوانه ق ٢٨/١ ص ١٥]:
فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي قفاف عقتل.

وأيا ما كان الأمر في توجيه هذا التركيب على تأويل حذف
جواب لما على ما رجحه البقاعي^٢ أو على أن الجواب هو جملة وأوحينا
والواو زائدة فإن ما نريد تأكيده هو أن هذا الأسلوب الذي تسوهم
المنصرون خطأه في كتاب الله العزيز ورد في أشعار العرب القدامى
ومنهم النصارى.

(٢/٦)

موضع الشبهة من الآية الكريمة

٢٠/سورة طه ٦٣ - ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ في قراءة تشديد النون وهي
قراءة متواترة للكسائي وغيره^٣.

وهذه شبهة قديمة أوردها ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن حيث
روى عن الطاعنين في القرآن أنهم يقولون إن في كتاب الله خطأ فسي
قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾^٤ وقد خرج النحاة هذه القراءة على
آراء متنوعة منها أنه قد أجيب عن ذلك: بأنه على لغة بني الحارث،
وبني الهجيم، وبني العنبر، وزبيد، وغنرة، ومراد، وخثعم، وحكى هذه
اللغة الأئمة الكبار كأبي الخطاب وأبي زيد الأنصاري والكسائي. قال

^٢ تأويل مشكل القرآن ٢٥٣ وانظر: الدر المصون ٤٥٣/٦ والبحر المحيط ٥٥/٨.

^١ نظم الدر ٢٨/١٠.

^٣ يقول معجم القراءات القرآنية للككتور الخطيب ٤٤٩/٥ "قرأ أبو جعفر والحسن وشيبة والأعمش
وطلحة وحديد وأيوب وخلف في اختاره وأبو حيد وأبو حاتم وابن عيسى الأصمعي وابن جرير
وابن جبير الأنطاكي وابن عامر ونافع وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ويطوب والشنوبذي
﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ بتشديد "إِنَّ" و"هَذَانِ" بالألف."

^٤ تأويل مشكل القرآن ١٢٥ ٥٠.

أبو زيد: "سمعت من العرب من يقلب كل ياء يفتح ما قبلها ألفاً" ويجعلون المثني كالمقصور، فيثبتون ألفاً في جميع أحواله، ويقترنون إعرابه بالحركات، وأنشدوا قوله: [للمتمس ق ١٤/١ ص ٣٤ من الطويل]:

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساعداً لناباه الشجاع لصمماً^١.

وفي ذلك يقول ابن يعيش (١) ١٢٨/٣ "وليس ذلك مما يختص بأسماء الإشارة بل يكون في جميع الأسماء المثناة نحو قولك: جاعني الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، وهي لغة لبني الحارث وبطن من ربيعة" وأورد شواهد كثيرة تثبت هذه اللغة منها بيت المتمس السابق.

(٢/٧)

موضع الشبهة من الآية الكريمة

٢١/سورة الأنبياء ٣ — «وأسروا النجوى الذين ظلموا»

يقول مؤلفو كتاب حقائق الإسلام ٢٤٦ في توضيح هذه الشبهة "وشاهدهم في هذه الآية هو الجمع بين "وأسروا"، "الذين ظلموا" لأنهم جزموا بأن الواو في "أسروا" فاعل كما جزموا بأن الذين فسي "الذين ظلموا" فاعل كذلك.

"ولما كان كل فعل لا يتطلب إلا فاعلاً واحداً، صاحوا بأعلى صوت قائلين: إن القرآن أخطأ فجعل للفعل الواحد فاعلين!"

وهو ما يؤكد الدكتور إبراهيم عوض في كتابه عصمة القرآن حيث يقرر أنهم يظنون "أن هناك غلطة نحوية في قوله تعالى في الآية

^١ الدر المصون ٦٧/٨ وانظر: نوار أبي زيد ١٦٩.

(٣) من سورة الأنبياء... إذ يزعم (مؤلف هل القرآن معصوم) أن الصواب يقتضي حذف الواو من أسروا فيكون الكلام: وأسر النجوى الذين ظلموا^١.

ومثل ذلك يمكن أن يتهم به قول الله جل وعلا ﴿ثم عموا وصموا كثيرا منهم﴾ [سورة المائدة ٥/٧١].

وهذا أسلوب عربي قديم يرى كثير من اللغويين العرب أنه هو الأصل كما جاء عن الثعالبي في فقه اللغة وسر العربية حيث يقول: "في جمع الفعل عند تقدمه على الاسم" ربما تفعل العرب ذلك؛ لأنه الأصل^٢ وهو ما أكدته الدراسات اللغوية المقارنة^٣.

وقد أورد معربو القرآن شواهد شعرية تثبت أن هذه الظاهرة متفشية في كلام العرب قبل نزول الكتاب العزيز منها بيت أمية بن أبي الصلت وهو من شعراء النصرانية في الجاهلية: [من المتقارب]:

يلوموني في اشتراء النخب — أهل فكلهم أوم^٤

ومن ذلك بيت عروة بن الورد وهو من شعراء النصرانية في الجاهلية [من الطويل زيادات ديوانه ق ٥/٢ ١-٢ ص ١٢٣]:

دعيني للغنى أسعى فإني وأبعدهم وأهونهم عليهم^٥
رأيت الناس شرهم الفقير وإن كانا له نسب وخير^٥

^١ عصمة القرآن ٧٠ وقد أورد شواهد شعرية كثيرة تتضمن هذا الأسلوب يبدو أنه اعتمد في نقل غالبها على كتاب الدكتور رمضان عبد التواب بحوث ومقالات في اللغة ٧١ وما بعدها وانظر: هل القرآن معصوم ١١١.

^٢ فقه اللغة وسر العربية (الختامي) ٥٧٠/٢ و(السقا) ٣٢٨.

^٣ انظر: بحوث ومقالات في اللغة ٧٤ وما بعدها.

^٤ الدر المصون ٣/٣٥٤ و ٨/١٣٢ وانظر: بحوث ومقالات ٧١.

^٥ بحوث ومقالات في اللغة ٧٢.

وقد أفاض معربو القرآن في تخريجها على آراء كثيرة، لعل أرجحها هو أن الواو مجرد علامة للجمع والاسم الظاهر بعدُ هو الفاعل^١.

وقد روت كتب اللغة أن هذه اللغة محكية عن قبيلة بني الحارث بن كعب وعن قبيلة طيئ وعن قبيلة أزد شنوءة .

وقد تتبعها الدكتور رمضان عبد التواب في بحثه عن الخصائص اللغوية لقبيلة طيئ القديمة حتى وصل إلى شعر أبي تمام الطائي، وإن كان خارج دائرة الاحتجاج، وهو من شعراء النصرانية بعد الإسلام ٢٥٦ على ما يقرر لويس شيخو اليموعي! منه [من الكامل ق ٣٣/٥٨ (١٣١/٢)]:
وغدا تبين كيف غب مدائحي إن ملن بي هممي إلى بغداد^٢

وكذلك قوله: [من الطويل ق ١/٧٤ (٢١٤/٢)]:

شجى في الحشى ترداده ليس يفتر به صمن أمالي وإني لمفطر^٣

وكذلك قوله: [من الطويل ق ١٠/١٣٦ (١٧٨/٣)]:

ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا هلكن إنن من جهلهن البيهائم^٤

ويعلق التبريزي على البيت الثاني هنا قائلاً ٢١٤/٢ "تيسين في كلام الطائي أنه كان يختار إظهار علامة الجمع في الفعل، مثل قوله: صمن أمالي، ولو قال "صام أمالي" لاستقام الوزن، وقد جاء بمثل ذلك في غير هذا الموضع".

^١ انظر الدر المصون ١٣٢/٨ وكتاب سيبويه (هارون) ٤٠/٢.

^٢ شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي ٢١٤/٢ وانظر: بحوث ومقالات في اللغة ٢٥١.

^٣ شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي ١٣١/٢ وانظر: بحوث ومقالات في اللغة ٢٥١.

^٤ شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي ١٧٨/٣، وانظر: بحوث ومقالات في اللغة ٢٥١.

وما يهم هنا هو كثرة الشواهد الشعرية لشعراء النصرانية العرب قبل الجاهلية وبعد الإسلام مما يؤكد إسهام شعر هؤلاء الشعراء في إثبات القاعدة النحوية في العربية، وأن ما يزعمه الزاعمون من وجود أخطاء في القرآن الكريم ساقط بتحكيم هذه الشواهد الشعرية.

(٣/٨)

موضع الشبهة المزعومة في الآية الكريمة

٦٣/سورة المنافقون ١٠ - ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدُقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

وهذه الآية مثار طعن منذ القدم كما نكر ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن^١ وقد ردها المعاندون المعاصرون^٢ وشاهد هذه الشبهة عندهم هو قوله تعالى ﴿وَأَكُن﴾ لأنه محذوف الواو، وهو فعل معتل الوسط بالواو (أجوف) ولا يحذف الواو منه إلا إذا سكن آخره، ولا يسكن آخره إلا إذا كان مجزوماً، ويجزم المضارع إذا دخل عليه جازم أو عطف على مجزوم. ولما لم يدخل على الفعل هنا جازم، ولم يتقدم عليه مجزوم يصح جزمه بالعطف عليه، ساغ لخصوم القرآن أن يقولوا إن هذا الفعل "أكن" جزم على أن المعطوف عليه منصوب وهو الفعل "فأصدق" وعلقوا على هذا فقالوا: كان يجب أن ينصب الفعل المعطوف على المنصوب فيقال: فأصدق وأكون^٣.

وهو ما ذكره كذلك الدكتور إبراهيم عوض حيث يقرر أن صاحب كتاب هل القرآن معصوم يرى "أن في قوله تعالى في الآية

^١ تأويل مشكل القرآن ٥٦.

^٢ حقائق الإسلام ١٩٩.

(١٠) من سورة (المنافقون) ... خطأ نحويًا، إذ كان المفروض
(حسبما يقول) أن ينصب فعل الكينونة عطفًا على "فأصدق" ^١.

وقد خرج معربو القرآن أن هذا الأمر على أنه عطف على
معنى الشرطية المستقر في الجملة بتقدير: "إن أحررتي أصدق وأكن" ^٢.

والمهم عندنا أن هذا الأسلوب مألوف في أشعار العرب القدامى
ومنهم شعراء النصرانية يقول زهير بن أبي سلمى لقي ٨/١٧ من ١٦٩
ديوانه صنعة الشنتمري من الطويل وشرح ديوانه لتعلب من ٢٨٧]:

بدا ليَ أَني لست مدركَ ما مضى ولا سابقَ شيئًا إذا كان جائيًا

والشاهد في البيت جر "سابق" عطفًا على مدرك المنصوب خبرًا
لليس على توهم زيادة الباء، وهو عكس ما في الآية التي وقع فيها الجزم
على توهم حذف الفاء.

ومثل ذلك بيت امرئ القيس [من الطويل ق ٦٣/١ من ٢٢]:

فظل طهاة اللحم من بين منضج صنيفَ شواءٍ أو قديرٍ معجلٍ

"فإنهم جعلوه من العطف على التوهم" فعطف قدير بالجر على
صنيف المنصوبة توهمًا أنه مجرور بالإضافة على ما يقرر السمين
الخلبي في الدر المصون (٣٦٤/١٠).

(٢/٩)

موضع الشبهة المزعومة في الآية الكريمة

^١ عصمة القرآن ٣٦ وهل القرآن مصوم ١٠٨.

^٢ انظر: الدر المصون ٣٤٤/١٠.

٧٦/سورة الإنسان ٤- ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا﴾
 ٧٦/سورة الإنسان ١٥- ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَنْيَاءٍ مِنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ
 قَوَارِيرًا﴾

وقراءة التتوين أو الصرف مروية ثابتة عن نافع وأبي جعفر
 والكسائي وأبي بكر عن عاصم وغيرهم^١.

وهذه شبهة قديمة نص عليها ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن
 (٢٩) في فصل الحكاية عن الطاعنين.

يقول كتاب حقائق الإسلام ٢٣٤: وشاهدهم (أي من يزعمون
 الخطأ في القرآن) في الآية الأولى كلمة "سلاسلا" نكروها ثم قالوا: فلماذا
 قال "سلاسلا" بالتتوين مع أنها لا تتون لامتناعها عن الصرف؟ وقالوا
 عن الآية الثانية: لماذا أتى بها بالتتوين مع أنها لا تتون لامتناعها عن
 الصرف؛ لأنها على وزن مصابيح؟

هذا قولهم وهو مبلغ علمهم أو مبلغ جهلهم وافترائهم^٢.

وهو ما يؤكد الدكتور إبراهيم عوض في نقله عن (هل القرآن
 معصوم) حيث يقول إن الكلمتين في الآيتين قد نونتسا رغم أنهما
 ممنوعتان من الصرف^٣.

وقد روى السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/٩٧٧ عن الأخفش
 قوله "سمعنا من العرب من يصرف كل ما لا ينصرف؛ لأن الأصل في
 الأسماء الصرف".

^١ انظر معجم القراءات القرآنية للدكتور الخطيب ١٠/٢٠٧، ٢١٠.

^٢ عصمة القرآن ٦٤، هل القرآن معصوم ١١٠، ١١١.

وبعضهم يخرجها للمناسبة بين الفواصل القرآنية ويستشهدون على ذلك بما ورد من أشعار القدماء من مثل بيت العجاج وهو من شعراء النصرانية عند لويس شيخو! [من الرجز ديوانه ق ١/٤٤ ص ٤٢١]:
يا صاح ما هاج الدموع الزرفن^١.

ومن ذلك أيضا أي صرف ما لا ينصرف في أشعار العرب النصرانية قول النابغة الذبياني [من البسيط]:

فلتأتينك قصائدٌ وليركبن جيش إليك قوادم الأكوار

يقول القزاز القيرواني "قصرف قصائد وهو جمع ثالث حروفه ألف، وبعد الألف حرفان"^٢ (ولو حذف النون التي للنتوين وأشبع الضمة لاستقام الوزن) .

ثم يقول "ولكن أصله أن ينصرف لتمكن الأسماء في الإعراب، فكان الشاعر لما صرفه رده إلى أصله"^٣.

^١ الدر المنون ٦٠٩/١٠ ولبحر المحيط ٣٨٩/٨ ولرأجز العرب ٤٨ .

^٢ ما يجوز للشاعر في الضرورة ١٣١ وانظر ضرورة الشعر لابن السيراني ٤٣ .

^٣ ما يجوز للشاعر في الضرورة ١٣٢ .

الخاتمة

يتضح مما سبق أنه لا يوجد شاعر ممن زعم لويس شيخو
اليسوعي نصرانيته في كتابيه المعروفين: شعراء النصرانية في
الجاهلية، وشعراء النصرانية بعد الإسلام = لم يمثل في المصادر التي
اعتمدها هذا البحث، مما ظهر في الجدولين السابقين.

كما اتضح أن نسبة كبيرة من شبهات خصوم القرآن الكريم لم
يكونوا مبتكري هذه الشبهات، بل وجدنا كثيرا منها منقولاً من كتب القوم
القديمة، ثم أضافوا إلى سرقتهم خيانة في كتمانهم الردود القديمة التي رد
بها العلماء المسلمون، وكتمانهم ما أورده من شواهد فشا فيها كثير من
هذا الذي زعموه خطأ.

وهناك شعراء آخرون من غير النصرانية يمكن أن يسهموا في
إثبات أن ما ورد في القرآن من تراكيب ثابت في شعر القوم قبله من
مثل شعراء اليهود كالسموأل بن عادباء وابن الزبيرى وغيرهما.

يرى هذا البحث في نفسه أنه جاء بمسألة ربما لم يلتفت إليها
الدارسون قبله وهو الاحتجاج بشعر شعراء النصرانية قبل الإسلام وبعده
ليؤكد بهذا أن الإسلام لم يمنع الاحتجاج بشعر هؤلاء ولم يتعصب
ضدهم؛ لأنهم عرب أولاً وأخيراً، وهذا التوسع في قبول شواهد العرب
على اختلاف مللهم عكس العناية الكبرى التي أولاها اللغويون
والنحويون والمفسرون المسلمون للغة العرب شعراً ونثراً، خدمة لكتاب
الله عز وجل.

ويسوغ البحث الاكتفاء بهذه الشبهات التسع فقط من باب أن البحث العلمي قائم على الاستقراء لا الاستقصاء بمعنى أن هذه الأمثلة كافية في التلليل على أن ما يروجه خصوم القرآن من وجود أخطاء نحوية، راجع إلى العداوة؛ لأننا وجدنا أن كل ما اتهموا به النص العزيز عارٍ عن الصحة، لوجود هذه التراكيب في أشعار العرب وكلامهم هذا جانب.

جانب آخر أن اشتراط البحث تحكيم شواهد شعراء النصرانية هو الذي حكم ذلك الاختيار لهذه المسائل تحديداً.

على أن بقية الشبهات المثارة ليست إلا من مألوف ما تحدث به العرب وكتب اللغة والنحو والتفسير مليئة بشواهد شعرية تثبت ذلك.

راعى البحث كذلك التوقف أمام مادة نوعية من الكتب على وجه التحديد تمثل أساساً لما قام برعاية القاعدة النحوية من جانب والعناية بتراكيب الجمل القرآنية من جانب آخر ولذلك توقف أمام هذه الكتب تحديداً.

إذ إن كتاب سيبويه هو أهم مؤلفات النظرية النحوية العربية على وجه الإطلاق، ثم إن عناية البحث بكتب معاني القرآن؛ لأنها كما شاع وعرف تمثل التفسير النحوي للقرآن الكريم على ما تقرره مثلاً الدكتورة هدى قراة في مقدمة تحقيقها لمعاني القرآن للأخفش (٢٥/١)
"أما كتب معاني القرآن فهي النواة الأولى للتفسير النحوي للقرآن، فأصحاب كتب المعاني إنما يفسرون القرآن في ضوء إعرابهم للآيات".

ثم اعتمد البحث على كتب إعراب القرآن متواترة وشاذة، ثم على تفسير البحر المحيط لما عرف عنه من العناية بالجانب النحوي؛ نظرا لأن مؤلفه واحد من كبار نحاة العربية وهو أبو حيان الأندلسي*.



فهرست مراجع البحث

- الإبل، للأصمعي (ضمن الكنز اللغوي في اللسان العربي) للدكتور أوجست هشر، فينا سنة ١٩٠٥م مصورة مكتبة المنتبي، بالقاهرة، بدون تاريخ.
- الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته، للدكتور محمد حسن جبل، دار الفكر العربي، بالقاهرة، سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- أراجيز العرب، للسيد محمد توفيق البكري، المطبعة المليجية، بالقاهرة، سنة ١٣١٣هـ.
- أسباب النزول، للسيوطي، دار التحرير، بالقاهرة، سنة ١٣٨٢م.
- أسباب النزول، للواحدي، مكتبة المنتبي، بالقاهرة، بدون تاريخ.
- الإصابة في تميز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، مصورة دار الفكر العربي عن طبعة السعادة، بالقاهرة، سنة ١٣٢٨هـ.
- إظهار الحق، لرحمة الله الهندي، مكتبة الثقافة الدينية، بالقاهرة، بلا تاريخ.
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لابن خالويه، مكتبة المنتبي، القاهرة، بدون تاريخ.

- إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه، تحقيق الدكتور عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، سنة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- إعراب القراءات الشواذ، للعكبري، تحقيق محمد السيد عزوز، عالم الكتب، بيروت، سنة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- الإغفال، لأبي علي الفارسي، - وهو المسائل المصلحة من كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق الدكتور عبد الله عمر الحاج، طبعة المجمع الثقافي، بسأبي ظبي، سنة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- الاقتراح في علم أصول النحو، للسيوطي، تحقيق الدكتور أحمد سليم الحمصي، والدكتور محمد أحمد قاسم، جروس برس، بيروت، سنة ١٩٩٨م.
- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- بحوث ومقالات في اللغة، للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، بالقاهرة، سنة ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، تحقيق علي محمد الجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، بالقاهرة، سنة ١٩٧٦م.

- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، لعبد الله الترجمان، تحقيق الدكتور محمود علي حماية، دار المعارف، بالقاهرة، سنة ١٩٩٢م.
- التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، للسهيلى، تحقيق عبد الله محمد علي النقراط، منشورات كلية الدعوة، بطرابلس، سنة ١٩٩٢م.
- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٧م.
- حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بالقاهرة، سنة ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق الدكتور محمد أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، سنة ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، بالقاهرة، سنة ١٩٨٧م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، بالقاهرة، سنة ١٩٩٠م.
- ديوان الخرنق بنت هفان، تحقيق الدكتور حسين نصار، دار الكتب المصرية، بالقاهرة، سنة ١٩٦٩م.

- ديوان السموأل (ضمن ديوانا عروة بن الورد والسموأل) دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق الدكتور حسين نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، بالقاهرة، سنة ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م.
- ديوان العجاج، تحقيق الدكتور عزة حسن، دار الشرق، دمشق، سنة ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.
- ديوان المتمس الضبعي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، سنة ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م.
- ديوان المتعب العبدوي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، بالقاهرة، سنة ١٣٩١هـ = ١٩٧١م.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، بالقاهرة، سنة ١٩٩٠م.
- الرد على النصارى، للجاحظ (ضمن رسائل الجاحظ) تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، سنة ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.
- شرح ديوان عنتر بن شداد، تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي، المكتبة التجارية، بالقاهرة، بدون تاريخ.
- شرح المفصل لابن يعيش، مكتبة المنتبي، القاهرة، بدون تاريخ.
- شعراء النصرانية بعد الإسلام، للأب لويس شيخو اليسوعي، دار المشرق، بيروت، سنة ١٩٩١م.

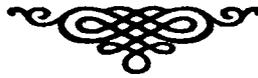
أثر شواهد شعراء التصرانية في بناء
القاعدة النحوية في العربية

- شعراء التصرانية في الجاهلية، للأب لويس شيخو اليسوعي، دار المشرق، بيروت، سنة ١٩٩١م.
- شواهد الشعر في كتاب سيبويه، للدكتور خالد عبد الكريم جمعة، الدار الشرقية، بالقاهرة، سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.
- الصحابي، لابن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر، عيسى البابي الحلبي، بالقاهرة، سنة ١٩٧٧م.
- الصبح المنير في شعر أبي بصير، تحقيق جابر، بيانة ١٩٢٧م مصورة مكتبة ابن قتيبة، بالكويت، سنة ١٩٩٣م.
- ضرورة الشعر للسيرافي، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، بيروت، سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
- الظاهرة القرآنية، لمالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق، للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة زهراء الشرق، بالقاهرة، سنة ١٩٩٨م.
- عصمة القرآن وجهالات المبشرين، للدكتور إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق، بالقاهرة، سنة ٢٠٠٥م.
- فصول في فقه العربية، للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، سنة ١٩٨٧م.

- فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، تحقيق الدكتور خالد فهمي، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٩٩٨م.
- فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مصطفى البابي، بالقاهرة، سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.
- الفهرست للنديم، تحقيق رضا تجدد، دار المسيرة، بيروت، سنة ١٩٨٨م.
- فيض نشر الاثسراح من روض طي الاقتراح، لأبي الطيب الفاسي، تحقيق الدكتور محمود يوسف جمال، دار البحوث الإسلامية، بديي، سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.
- قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، لمحمود محمد شاكر، مطبعة المدني، بالقاهرة، سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
- الكتاب، لسببويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨.
- كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، تحقيق علي حروج وآخرين، مكتبة لبنان، بيروت، سنة ١٩٩٦م.
- كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بالقاهرة، سنة ١٩٧٢م.
- كشاف العبارات النقدية والأدبية في التراث العربي، للدكتور محمود الربدلوي، مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، بالرياض، سنة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، دار الريان للتراث، بالقاهرة، سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ما يجوز للشاعر في الضرورة، للقرزاز القيرواني، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب والدكتور صلاح الدين الهادي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، سنة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة، تحقيق الدكتور محمد مؤاد مسزكين، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، سنة ١٩٨٨م.
- المنكر والمؤنث، للفراء، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، دار التراث، القاهرة، سنة ١٩٨٩م.
- معاني القرآن، للأخفش، تحقيق الدكتورة هدى قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- معاني القرآن، للفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٨٠م.
- معاني القرآن وإعرابه، تحقيق الدكتور عبد الجليل شلبي، دار الحديث، بالقاهرة، سنة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٩٥م.
- معجم الخطأ والصواب، للدكتور إميل يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٩١م.

- معجم القراءات القرآنية، للدكتور عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، دمشق، سنة ٢٠٠٠م.
- مفحومات الأقران في مبهمات القرآن، للسيوطي، المكتبة الأزهرية، القاهرة، سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، للدكتور محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن، سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م مصورة مكتبة ابن تيمية بدون تاريخ.
- النواذر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري، دار الشروق، القاهرة، سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- هل القرآن معصوم، لعبد الله القادي، للنمسا، سنة ١٩٩٤م.



الدراسة الثانية :

**الإسهام الأنثوي في الدرس
اللغوي العربي**

الإسهام الأنثوي في الدرس اللغوي عند العرب من منظور الرواية والاحتجاج

إن المخاطر المتوقعة في المستقبل والتي تبنت بعض علاماتها
اليوم لن تفرق بين الرجال والنساء!

هذا مفتوح يمثل أيسر رد يمكن أن نسوقه عموماً في وجه
المتعصبين للحركة النسوية التي قامت في الأساس واكتسبت شرعيتها
في الثقافة الغربية؛ لأن "المنطلق الأساسي للنسوية الجديدة ما بعد
الحدائية هو نقد ورفض مركزية النموذج الذكوري للإنسان التتوييري
الحدائي العاقل؛ الوجه الآخر للمركزية الأوربية، ومركزية الحضارة
الغربية التي سادت العالمين"^١.

وهذا البحث يقف موقف المعارض لهذه الحركة النسوية في
الثقافة العربية والإسلامية، أو في المجتمعات العربية؛ لأنه وإن قامت
الحركة النسوية في الفكر الغربي لمواجهة ما يسمى بمصطلح "مركزية
العقل الذكوري pallogocentrisme التي تبلور القيم الذكورية المستبدة
المهيمنة على الحضارة. وكانت وسيلة للرجل الأبيض (الغربي) لتهر
العالمين، وإحداث المصائب والويلات التي تعاني منها الحضارة
الإنسانية في أركان الأرض الأربعة والتي تتلخص في أن مركزية العقل
الذكوري الغربي قد قهرت ثالوث الأطراف؛ قهرت المرأة، وقهرت
الطبيعة، وقهرت شعوب العالم الثالث"^٢ - فإن الأمر مختلف تماماً في

^١ انثوية العلم ١٤.

^٢ انثوية العلم ص ١٤.

تاريخ الفكر العربي والإسلامي، حيث لم يحدث ذلك القهر؛ لأي من هذه العوالم الثلاثة أو غيرها مجتمعة أو منفردة.

بل إن تاريخ العلم عند المسلمين يشهد بإسهام المرأة في كثير من مناحي نشاطاته، ولاسيما فيما يمثل أخطر جوانب العلم المتمثل في العلم الشرعي، فلقد أسهمت المرأة في علوم القرآن الكريم، والحديث النبوي، وجلست للإفتاء، والتحديث حتى في عصور ما سُمي بزمان الاتهابار أو التراجع السياسي إبان عصر الجلال السيوطي، مع بدايات القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي وما بعده.

وهذا البحث يرمي إلى بيان إسهام المرأة العربية في بناء صرح الدرس اللغوي في تراث الدراسات اللغوية العربية من جانب.

كما أنه يهدف من جانب آخر إلى أن يوضح أن الرجل/الذكر، لم يقهر المرأة، ولم يستكف أن يروي لها أو عنها، ويدون إسهامها في كبريات الكتب اللغوية العربية أيما كان نوع هذه الكتب أو مجالها المعرفي الخاص منذ بدء ذلك النشاط العلمي في نطاق الثقافة العربية والإسلامية.

وبهذا يمكن توجيه نظر حملة الفكر النسوي في الإطار الجغرافي العربي إلى استثمار هذه الروح للسعي نحو الأفضل؛ لأن الرجل/الذكر العربي للمسلم لم يسع يوماً إلى احتكار العلم باعتباره مؤسسة حضارية، بل إن الرجل/الذكر كان يسعى يملؤه الشوق إلى المعرفة من شيخات كان لهن دور رائد في تاريخ العلم عند المسلمين باعتراق الجنس الذكوري نفسه، أو بإقرار الرجل العربي نفسه لدرجة

أن ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ-١٢٠١م يذكر كثيرات في كتابه أعمار الأعيان^١ كان لهن أثر بارز في الحضارة العربية.

ومتلما كتب أبو عبد الرحمن السلمي المتوفى ٤١٢هـ-١٠٢٢م كتابه طبقات الصوفية^٢ مخصصا إياه لمشاهير الصوفية من الرجال على خمس طبقات، فقد ألف كتابه: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات^٣، أخلصه لترجمة أربع وثمانين امرأة متعبدة صوفية.

وإذا كان علماء الحديث يعرفون نماذج كثيرة لمشيدات الرجال، فقد عرف تاريخ هذا العلم عند المسلمين لنساء محدثات ألفها رجال من مثل:

العمدة من الفوائد والآثار والصحاح والغرائب في مشيخة شهيدة^٤، المتوفاة سنة ٥٧٤هـ-١١٧٨م، قام عليها تلميذها أبو محمد الحافظ، عبد العزيز بن محمود بن المبارك بن الأضر.

ومن أشهر الأمثلة في الإقرار والاعتراف بأثر المرأة في باب من علوم المسلمين كتابان في الانتصار لعلم أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما - في مواجهة الصحابة، أحدهما هو الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة لبدر الدين الزركشي^٥ المتوفى

^١ انظر على سبيل التمثيل أصل الأعيان ص ١٦٠، ٧٨.

^٢ حققه ونشره المرحوم نور الدين شريه بمكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

^٣ حققه المرحوم الدكتور مسعود الطنلي بمكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

^٤ حققه الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب بمكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٤١٠هـ-١٩٩١م.

^٥ حققه الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب بمكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

سنة ٧٩٤هـ-١٣٩٢م، وثانيهما هو عين الإصابة في استدراك عائشة على الصحابة^١ للجلال السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ-١٥٠٥م.

ويستمد هذا البحث شرعيته من إدراكه - من دون مبالغة - أنه ربما تكون هذه من أوائل المرات التي يلتفت فيها إلى الاستشهاد والاحتجاج بالشاهد النسائي في هذا السياق لندفع به تهمة تشغب بها أنصار الحرية للنسوية، مع الإقرار كما جاء في أول حاشية من حواشي البحث تعليقا على عنوانه أن ثمة من التفت إلى العناية بما قدمته المرأة في بعض السياقات المعرفية الأخرى لكن في غير مجال اللغة. كما التفت البحث إلى الكتاب الرائد للمرحوم الدكتور أحمد مختار عمر (١٩٣٣-٢٠٠٣م) اللغة واختلاف الجنسين الذي دفعه إليه ما دفعنا إلى هذا البحث وهو محاولة الدفاع عن العربية في وجه من يتهمها لكنه لم يقترب أو يتماس معنا في نقطة الرواية أو الاحتجاج.

وهذه الورقة تهدف إلى بيان أن العلوم اللغوية عند العرب القدماء لم تزدِ المرأة، أو تهملها وسيتوقف هذا البحث عند أمرين اثنين يرى أنهما دالان في هذا المقام وهما: مقام الرواية، ومقام الاحتجاج بما جاء عن النساء.

أولاً: الإسهام الأنثوي في الدرس اللغوي عند العرب:

(المرأة الرواية)

حكم البعدان الزماني والمكاني النظر اللغوي القديم في معالجة قضية الاحتجاج ومصادره من جانب، وفي قضية الرواية والجمع اللغوي من جانب آخر.

^١ حققه للدكتور عبد الله محمد الدويش بمكتبة العلم بالقاهرة سنة ١٤٠٩هـ-١٩٩٨م.

بمعنى أن المعيار الزماني أو تقسيم الشعراء إلى طبقات كان هو الأساس في النظر إلى الشواهد الشعرية التي أخذت أدلة على صحة اللغة معجماً ونظاماً أو ألفاظاً ونحواً.

كما كان المعيار المكاني متأزراً مع المعيار الزماني حاكماً في تقسيم البيئات والقبائل إلى بيئات يصح الاحتجاج بكلامها تبعاً لقربها أو بعدها من البداية أو الحاضر.

لكن الحق يقتضي أن نقرر أنه لم يحدث أن وقع في مسألة النظر إلى مصادر الاحتجاج اللغوي-الالتفات أو الإشارة إلى اعتماد عنصر الجنس، أو تقسيم الراوي اللغوي وقبول رواياته تبعاً لجنسه، رجلاً كان أو امرأة، فقد أخذ اللغويين العرب ورووا عن العرب جميعاً رجالاً ونساءً، فالشائع الشهير هو أن: "القنماء قد ذهبوا إلى أن اللغة العربية تجري في نساء العرب، فقد أخذوا اللغة عن العرب حتى عن الأطفال والمجانين والنساء"^١.

وبعيداً عن فكرة جريان اللغة في نساء العرب التي لا نقبلها أو نوافق عليها، التي تمثل عمود الصورة في موضوع السليقة اللغوية-فإن اللغويين العرب لم يطردوا فريقاً أو أحداً من دائرة الرواية اللغوية تبعاً للذكورة أو الأنوثة، وهو ما يشغلنا الآن.

إن تجنب الرواية عن المرأة هو ما لم نجد له أثراً في كتب النظرية اللغوية العربية، كالمزهر في علوم اللغة، للجلال السيوطي في

^١ أصول في فقه العربية ص ٩٦. وانظر قائمة بالقبائل التي يصح الاستشهاد بنثرها: المزهر ١/١٣٧ والحروف للفارابي ١٤٧ والاستشهاد والاحتجاج في اللغة ١١٤ والمستوى اللغوي للفصحى واللهجات ٦٨.

الفصل الذي عقده للحديث عن تؤخذ اللغة منه، وتقبل، أو لا تؤخذ منه وتُرَدُّ^١.

ولذلك وجدنا عددا من مؤلفات تراجم النحاة واللغويين يذكرون طائفة من الأعرابيات الراويات اللاتي كن مصدراً من مصادر جمع اللغة، التي قام بها، وألفها الرجل، فقد جاء في إنباه الرواة على أنباء النحاة للوزير القفطي المتوفى سنة ٦٤٢هـ = ١٢٢٧م في الجزء الذي خصصه لتراجم أصحاب الكنى، الأسماء التالية لعدد من النساء اللاتي روى عنهن علماء اللغة في رحلة جمع اللغة:

الأعرابية الراوية	رقم ترجمتها	موضعها من الإنباه
١. جزلة الحرقية	٨٩٠	١٢٢/٤
٢. عتبة أم الحمارس	٨٧٢	١٢٠/٤
٣. غنية أم الهيثم	٨٨٦	١٢١/٤
٤. قريية أم البهلول الأسدية	٨٨٨	١٢١/٤

وقد ذكر لهذه الأخيرة كتابين من تأليفها هما:

— كتاب المصادر. — وكتاب النوادر.

وقد كانت الأربعة الأسماء هي الأساس الذي أقام عليه الدكتور عبد الحميد الشلقاني فصله عن الأعرابيات في كتابه الأعراب الرواة، حيث يقرر أنه: «تشارك في رواية اللغة أعرابيات أيضا. وتعرضن لما تعرض له الأعراب من خلط في البلد والاسم والشهرة»^٢.

^١ الغزير ١/١٣٧.

^٢ الأعراب الرواة ٢٦١.

والقفطي في التفاته إلى ما قدمه الأعراب الرواة والأعرايبات الراويات على وجه خاص مسبق بما أورده النديم، صاحب الفهرست المتوفى سنة ٣٨٠هـ = ٩٩٠م في سياق المقالة الثانية من كتابه، في أخبار النحويين واللغويين وأسماء كتبهم يقول: "وقد اقتضى نكرهم (أي أسماء فصحاء الأعراب المشهورين الذين سمع منهم العلماء) في هذا الموضوع مع اختلاف أصقاعهم، وتباين أوقاتهم أن العلماء عنهم أخذوا".^١

وقد ذكر من الأعرابيات:

١. غنية أم الحمارس.
٢. غنية أم الهيثم.
٣. قريبة أم البهلول الأسدية (ونكر لها كتابين هما كتاب النواذر، وكتاب المصائر).
٤. جزلة الحرقيه.^٢

وهي الأسماء الأربعة التي نقلها القفطي كما مرّ بنا.

وما نحب أن نعلي أمره هو ذلك الإقرار الذي ورد في خاتمة النقل الذي أوردناه، بأن علماء اللغة أخذوا علمهم عن هؤلاء الأعرابيات الراويات، ضمن من أخذوا عنهم، ولم يهملوا ما لديهن؛ لأنهن نساء؛ ذلك أن الإسلام لم يرَ تلك التفرقة، بل أقر المساواة بين الرجل والمرأة.

^١ الفهرست (رضا تجد) ١٤٩: ٥٣.

^٢ الفهرست (رضا تجد) ١٤٩: ٥٣.

وهو ما استقر في ضمير جامعي اللغة من الرجال في ذلك العصر الأول المتقدم.

ولم يقف الأمر في مسألة أخذ اللغة في عملية جمعها الأول عن الأعرابيات الراويات عند حد الموافقة أو القبول النظري كما ورد في أدبيات تراجم النحاة واللغويين، وغيرهم ممن مر بك بعض نماذجه وأمثله، بل خرج الأمر إلى التطبيق، بمعنى أن متابعة عمل اللغويين والنحويين في مؤلفاتهم المبكرة تؤكد هذا الإسهام الأثوي في أول أشكاله المتمثل في الرواية والأخذ عن المرأة، لدرجة أن عددا من أكابر اللغويين اشتهر عنهم الأخذ عن الأعرابيات، فيقال: أم الهيثم صاحبة المبرد، والديبرية التي يروي عنها الفراء.

وهذه بعض الأمثلة التي رويت في كتب اللغة تؤكد الرواية

عن المرأة:

- الجيم لأبي عمرو (ر م خ) ٢٩٨/١ وقالت الطائية: الرمخ: ما سقط من البسر وهو أخضر، فنضج* (النخل لأبي حاتم ٧٧).
- الجيم لأبي عمرو (ن ط و) ٢٠٧/٣ وقالت الطائية: المناطاة: أن تجلس امرأتان فترمي كل واحدة منهما إلى صاحبتها بكتبة غزل حتى تسدي ثوبها*.

والجيم من المعاجم التي أكثرت في الأخذ عن الرواة عموما رجالاً، ونساءً، ولن يؤثر هنا إن كان ما ورد فيه منسوبا إلى رواة

بأعيانهم، أم كان منسوباً إلى مطلق منسوبين إلى قبائل. على الخلاف الدائر بين الدارسين حول هذه المسألة^١.

ومثل تلك النماذج ما أورده أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي في معجمه الغريب المصنف، حيث يقول ١٥٥/١ (العبيدي): "الفراء، قال: قالت الدبيريّة: البخنق: خرقة تلبسها المرأة على رأسها من الصدر. والجنة: خرقة تلبسها المرأة فتغطي رأسها ما قِيلَ منه وما دبر غير وسط رأسها. والصقاع: خرقة تكون على الرأس تُوكي بها الخمار من الدُّهن".

وقد التفت إلى ذلك أستاذي المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب، فقال: ذُكرت (الدبيريّة) في الغريب المصنف مرة واحدة بطريق الفراء، وعلى هامش مخطوطة الأحمديّة بتونس..... من الغريب المصنف توجد في هذا الموضوع العبارة التالية: "امرأة منسوبة إلى دبير، وهي قبيلة من بني أسد"^٢.

وقد أمكن ملاحظة الأسماء التالية لأعرابيات واويّات يكسر

ذكرهن في الكتب اللغوية:

١. أم الهيثم صاحبة المبرد (نظر: الأعراب الرواة ٢٦٢).

^١ يرى محقق الجهم في مقمّة تحقيقه ٣٧/١ أن الجهم بعد "خطوة أولى استصغى فيها أبو عمرو للكلمات من شعر القبائل الذي جمعه ثم ضم إلى كل كلمة شاهدها مصرحاً باسم القبائل إن كان أو مشيراً إلى قبيلته إن فقد اسمه، وما أكثر ما جاء في الجهم: الأكرعي والسعدي ... وهو لا يريد واحد بعينه، وإنما يريد واحداً منسوباً إلى قبيلة من هذه القبائل" وهذا الذي ذهب إليه محقق الجهم مختلف فيه عند المعاصرين. انظر فصول في فقه العربية ٢٧١ حيث يخالف المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب ذلك الرأي.

^٢ مقمّة تحقيق الغريب المصنف ١٢١/١.

٢. أم الهيثم المنقرية (انظر: المزهري ٥٤٠/٢ والأعراب الرواة ٢٦١).
٣. جزلة الحرقيّة (انظر: إنباه الرواة ١٢٠/٤ والفهرست ٦٣، والأعراب الرواة ٢٦٤).
٤. حمادة بنت أبي مسافر عجوز راوية (انظر: مجالس ثعلب ٢٣٧/١).
٥. الدبيريّة الأسيديّة (هامش مخطوطة الأحمديّة للغريب المصنّف).
٦. زهراء الأعرابية الكلابية (انظر: الأعراب الرواة ٢٦٤).
٧. شماء الأعرابية الكلابية (انظر: الأعراب الرواة ٢٦٥).
٨. الطائية (انظر: الجيم ٢٧١/٣).
٩. عتبة أم الهيثم الكلابية (انظر: الفهرست ٦٣).
١٠. غنية أم الهيثم الكلابية (انظر: الإنباه ١٢١/٤).
١١. غنية أم الحماماس البكرية (انظر إنباه الرواة ١٢١/٤ والأعراب الرواة ٢٦٥).
١٢. قريبة أم البهلول الأسيديّة (انظر: الفهرست ٦٣ والأعراب ٢٦٦).

خاتمة: الإسهام الأنثوي في الدرس اللغوي عند العرب:

(الشواهد النسائية مصدراً للتوثيق والاهتجاج في اللغة والنحو)

لم يرغب الدليل عن حركة العلم عند المسلمين في أي مجال من مجالاته، ولا أدل على ذلك من تعانق الرواية أو التفسير أو الشرح اللغوي مع الشاهد منذ أقدم تأليف وصل إلينا، فقد كان ملازمة الدليل أمراً مميّزاً للتأليف، لارتباطه بالقرآن الكريم وسوف ينشغل هذا البحث في هذه النقطة تحديداً باتخاذ الشواهد النسائية الشعرية على وجه الخصوص

كمصدر من مصادر الاحتجاج والتوثيق لما جاء في الكتب اللغوية المعتمدة.

وسوف يضع هذا البحث أمامه الكتب الأمهات الأوائل في العلوم اللغوية المختلفة نحواً، ومعجماً، وفقه لغة. وقد لوحظ أن كثيراً من علماء اللغة كانوا يرحلون لزيارة الأعرابيات للرواية عنهن^١.

كما سنرى أن علماء اللغة قد استشهدوا بشواهد نسائية وهو المحور الثاني الذي اخترناه متمماً لقراءة الإسهام الأثوي في الدرس اللغوي عند العرب، من خلال فحص النصوص التالية، والتوقف أمام هذه النماذج مقصود، لأوليئها، وعلوها في بابها المعرفي الذي تمثله:

١. العين، للخليل بن أحمد ١٧٥هـ.
٢. الجيم، لأبي عمرو الشيباني ٢١٣هـ.
٣. الغريب المصنف، لأبي عبيد ٢٢٤هـ.
٤. ديوان الأدب، للفارابي ٣٥٠هـ.
٥. مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس، برواية أبي بكر الخنسي وابن العلاف ٤٤٢هـ.
٦. كتاب سيبويه ١٨٠هـ.
٧. الخصائص لابن جني ٣٩٢هـ.
٨. مجالس ثعلب ٢٩١هـ.
٩. معاني القرآن للأخفش ٢١٥هـ.
١٠. ما تلحن فيه العامة، للكسائي ١٨٩هـ.
١١. الأصول في النحو، لابن السراج ٣١٦هـ.

^١ انظر: العربية، ليوهان ذلك (الجزء) ٨٨ و(رمضان عبد التواب) ٩٦ وفيه ولما زار العلامة الكبير أبو عبيد أم المهيم التي عرفت بأنها أعرابية فصحة بلغة الكلام.

وقد توسعنا في هذه القائمة لندلل على تفشي الأخذ عن المرأة والاستشهاد بشعرها على صحة الألفاظ والأساليب، في النظام اللغوي العربي من جانب، ولتغطية جوانب الدراسات اللغوية العربية المتعددة من جانب آخر.

والتوقف أمام الشواهد الشعرية نابع من الإيمان بأنها كانت أكثر الشواهد دوراناً في كتب القوم، وللعباية الفائقة التي لقيها الشعر، حتى قيل: الشعر ديوان العرب.

فعلى الجانب الآخر نقرر أن الشواهد النثرية المرورية عن النساء متوافرة ولاسيما فيما يتعلق بأثار الصحابييات والتابعيات.

وقد احتلت الرواية عن عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما المنزلة العالية في هذا المضمار، ومما روي عنها في العين ما يلي:

- العين (رحض) ١٠٣/٣ قالت عائشة في عثمان (رضي الله عنهما): استأبوه حتى إذا تركوه كالثوب الرخيص أحالوا عليه فقتلوه" [النهاية (رحض) ٢/٢٠٨].
- العين (سحر) ١٣٦/٣ "السحر: أعلى الصدر، ومنه حديث عائشة، توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بين سحري ونحري" [المجموع للمغيث (سحر) ٢/٦٥].
- العين (ديم) ٨٦/٨ "في حديث عائشة (رضي الله عنها) أنها سئلت هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفضل بعض الأيام على بعض، فقالت: كان عمله ديمة" [تفسير غريب ما في الصحيحين ٥٤٥].

١- أما الشواهد الشعرية فمنها في العين ما يلي:

- العين (عول) ٢٤٨/٢ "والعول: كل أمرٍ عآلك. قالت الخنساء [من المتقارب]:
" يكلفه القوم ما عالم وإن كان أصغرهم مولداً ."
- العين (عجل) ٢٢٨/١ "والعجول من الإبسل: الواله التي فقدت ولدها.... قالت الخنساء [من البسيط]:
" فما عجول على بوّ تطيف به قد ساعدتها على التحتان أظآر".
- العين (صغر) ٣٧٢/٤ "الإصغار: حنينها (أي الناقاة) الخفيض، والإكبار: حنينها الرفيع، قالت الخنساء [من البسيط]:
حنين والهة ضلت أيفتها لها حنينان إصغار وإكبار".
- العين (قمطر) ٢٥٨/٥ "اقمطرت عليه الحجارة: أي تراكمت، قالت الخنساء [من البسيط]:
في جوف لحد مقيم قد تضمنه في رسمه مقمطرات وأحجار".
- ٢- ومن المعاجم التي اعتمدت بالرواية والاستشهاد بشعر المرأة معجم الجيم لأبي عمرو الشيباني:
 - الجيم (كيج) ١٦٢/٣ "الكيج: قبل الجبل، وقالت أم الكميت: [من الرجز]
مثل الخليج ناجت فيه الريح.
ليس له زاوية ولا كيج".
 - الجيم (قعد) ١٠٧/٣ "القعد من النساء: اللواتي لا يلدن، والمرأة قاعد: قالت لهنى لزوجها: [من الرجز]:

فلا تغنوني مع القعاد
واستعجلوا بيازل جواد".

- الجيم (ردأ) ٢٨٨/١ "وقالت امرأة من بنى أسد: [من الرجز] إفي أردأ بمعنى سکن]:

إن بصيرا وسنُ الفؤاد
وهبه لي رازق العباد
من بعد ما طال به إرصادي
قد أردأ الشيخ إلى الوساد
وقال هو صارم الفؤاد
ضهياً أو عاقر الجماد".

- الجيم (رطل) ١٠/٢ "الرطل: الغلام لم يحتك ولم يدرك، وقد يدعى الضعيف رطلا، قالت غادية الديبرية [من الرجز]:

لا تولعوا بالروس واستقروا
إن الغلام الرطل يستمر".

- الجيم (عوص) ٣٤٥/٢ "وقالت الخرنق في العويص (ما حول الأنف) [من الطويل]:

هم جدعوا الأنف الأثم عويصه وجبوا السنام فالتحوه وغاربه".

- الجيم (عيل) ٣٠١/٢ "المعيل: الضائع، قالت ليلي [من الطويل]:

فلو كنت إذ جاريت جاريت فانيا جرى وهو قحم أو ثنيا مُعِلاً".

- الجيم (زعم) ٧٧/٢ "قالت ليلي في الزعيم (سيد القوم) [من الكامل]:

حتى إذا برز اللواء رأيته تحت اللواء على الخميس زعيماً".

- الجيم (كتم) ١٧٥/٣ "وقالت ليلى في الكُتوم (من القسي التي لا ترن إذا نبضت) [من الكامل]:
قوم إذا غضبوا تزيد قناتهم ضلعا إذا قايستها وكُتوم".
- الجيم (خلل) ٢٣٧/١ قالت هند بنت قرة [من الكامل]:
فابكي لبيت قد أهلك أهله كانوا إليهم منزل الضيفان".
- ٣- وقد ظهر قريبا من معجم الجيم معجم آخر كان له أولية في المنهج الذي نهجه واتبعه لنفسه هو معجم الغريب المصنف، لأبى عبيد القاسم بن سلام الهروي، مرتبا وفق الموضوعات والمعاني.
وأبو عبيد القاسم بن سلام رجل محدث يعرف قيمة الرواية والاحتجاج، وله معرفة واسعة بما يجب توافره في الرواة من أحوال، وروايته واحتجاجه بشواهد نسائية دالة في هذا السياق تحديدا. ومن الشواهد النسائية في معجمه ما يلي:
 - الغريب المصنف (باب نعوت الكثيرة من الإبل) ٨٥٩/٣ الأحمرة:
الرُعَاوى، والرُعَاوى جميعا: الإبل التي يُعتمَل عليها، قال الشاعر، وهو لامرأة تخاطب زوجها [من الطويل]:
تمششتني حتى إذا ما تركتني كنضو الرعاوى قلت إني ذاهب".
 - الغريب المصنف (باب فَنَعَلِ) ٥٥٨/٢ الأسمعي: المسمئل:
الضامر وأنشدنا: [من الكامل] وهو لسلمي الجهنية:
يرد المياہ حضيرة ونفيضة ورد القطاة إذا سمل التبع".
 - الغريب المصنف ٩٥٣/٣ "أبو زيد: أحسبته: أعطيته ما يرضى، وأنشدنا لامرأة من بنى قشير [من الطويل]:
ونقضى وليد الحي إن كان جائعا وتحسبه إن كان ليس بجائع".

- الغريب المصنف (باب السحاب ونعوته) ٤٩٧/٢ "الكرفي وأحدثه: كرفنة، وهي متراكمة، قال الشاعر: [وهي الخنساء والبيت من المتقارب]:

ككرفنة الغيث ذات الصبير.

- الغريب المصنف ٣٤٩/١ "الأموي: العرين: اللحم، وأنشد لغلاية الدبيرية [من الطويل]:

موسمة الأطراف رخص عرينها.

- الغريب المصنف ١٧٦/١ "الأحمر: الاضطمان: الاشمال وأنشدنا للعلمرية [من الرجز]:

كأنه مضطمن صببتا.

٤- ومن اعتمد الرواية والاحتجاج بشواهد من شعر النساء على صحة المادة اللغوية المدونة في المعاجم العربية - الفلراي، إسحاق بن إبراهيم اللغوي في معجمه ديوان الأدب، وهو معجم مرتب وفق نظام الأبنية معتمدا على منهج القافية أو المسجع أو لترتيب الهجائي الألفبائي المعكوس، وهو المنهج الذي يمثل المر في عنوانه هذا المعجم بعنوان ديوان الأدب^١.

^١ كان من تعليق أستاذي المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه فصول في فقه العربية ٢٧٤ في سياق حديثه عن ديوان الأدب قوله "وهذا الكتاب لا يمت إلى الأدب بصله كما يومه عنوانه بل هو معجم لألفاظ اللغة العربية! والعلون عندنا مقصود بالنظر إلى منهجه الذي تلباه؛ وهو ترتيب الأبنية على الحرف الأخير وهو ما يسمى بمنهج القافية، فهو وضع لمساعدة الأبناء في التوقع على قولهم ومن أجل ذلك رأى فيه الفلراي ديوانا للمادة الأولى التي يريدها الأبناء، وهي الألفاظ

والتمثيل بديوان الأديب مقصود لأوليئته في مجال معاجم الأبنية. وقد ورد في ديوان الأديب عدد من الشواهد النسائية منها ما يلي:

- ٤٦٥/١ (ثمال) = القائم بأمر القوم، وشاهده بيت جنوب أخت عمرو ذي الكلب (من المتقارب):

بأنك ربيع وغيث مربع وقنمًا تكون هناك الشمالا

- ٢٤٨/٢ (رَهْل) = المضطرب اللحم، وشاهده بيت متنازع النسبة بين زينب بنت الطثرية، أو أمها، أو وحشية الجرمية، أو العجير السلولي، أو أبيرد [من الطويل]:

فتى قد قدَّ سيف لا متأزف ولا رهل لباته ويأدله.

- ٣٢٤/٢ (تَبَع) = الظل وشاهده بيت سعدى أو سلمى الجهنية على الأرحج، ويروي لأبي نؤيب [من الكامل]:

يرد المياه حضيرة ونفيسة ورد القطاة إذا اسمال التبَع.

١١/٤ (خصي) وشاهده بيت متنازع النسبة بين سلمى الهذلية، أو شماء الهذلية، أو جندل بن المثنى أو خطام المجاشعي [من الرجز]:

كان خصيه من التدلل
[سحق جراب فيه ثنتا حنظل].

- ١٥٩/١ (حَرم) = إجمام وشاهده حديث عائشة رضي الله عنها: قالت عائشة رضي الله عنها: كنت أطيبه لحله وحُرمه؛ أي عند إجمامه

- ٣٦١/١ (ذاقنة) طرف الحلقوم، وشاهده حديث عائشة رضي الله عنها: "ومنه قول عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري وبين حاقنتي وذاقنتي".
 - ١٧/٢ (جحران) موضعاً عورة المرأة جمع جحر وشاهده حديث عائشة رضي الله عنها:
- قالت عائشة رضي الله عنها: إذا حاضت المرأة حَرُم الجحران".
- ٣٦٦/٣ (غوات) صوت الاستغائة، وشاهده بيت عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، وربما نسب للعامري [من الواقر]:
- بعثتك مانراً فلبثت حولا متى يأتي غواتك من تغيث.
- ٢٦٧/٢ (الأقبل) -الذي كأنه ينظر إلى طرف أنفه، قالت الخنساء، ويروى عن ليلى الأخيلية [من الواقر]:
- ولما أن رأيت الخيل قبلنا تباري بالخدود شبا العوالي.
- ١٩/٣ (الصد) -الجبل ومن شاهد ليلى الأخيلية [من الطويل]:
- أنابغ لم تتبغ ولم تك أولا وكنت صنواً بين صدين مجهلا.
- ١٨٢/٤ (القتلى بواء) -مستأون في الديات، وشاهده بيت ليلى الأخيلية [من الطويل]:
- فإن يكن القتلى بواءً فإنكم متى ما قتلتم آل عوف بن عامر.
- - ومن المؤلفات المبكرة التي يمكن أن تتدرج ضمن القوائم المبكرة للمفردات word-list، أو ما يمكن تسميتها ببواكير المعاجم

العربية، كتاب مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله
عنهما.

وعلى الرغم من قلة عدد المسائل التي بلغت في الرواية التي
اعتمدناها ٢٨٧ مسألة، فقد مثلت الشواهد النسائية في هذه القائمة بعدد
إن يكن قليلا - فإنه دال على ما نقول به من اعتبار الشواهد النسائية،
وعدم إهمالها منذ ذلك العصر المتقدم جدا من عمر الرواية اللغوية،
ومن عمر الاحتجاج في مجال شديد الخطر هو تفسير ألفاظ القرآن
الكريم. ومن هذه الأمثلة ما يلي:

- مسائل نافع بن الأزرق ٤٦ مسألة ٧ قال (نافع): فأخبرني عن قول
الله عز وجل ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ [سورة النجم ٥٣/٦١] قال (ابن
عباس): لاهون.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم. أما سمعت قول هزيمة بنت بكر، وهي تبكي عاداً، حيث
تقول [من مجزوء الرمل]:

بعثت عاد لقيما	وأبا سعد مريدا
وأبا جلهمة الخبيـ	ر فتي أنجي العبودا
قيلَ قم فانظر إليهم	ثم دع عنك السمودا

- مسائل نافع بن الأزرق ٤٦ مسألة ١٢ فأخبرني عن قول الله عز
وجل ﴿الله أحد الله الصمد﴾ [سورة الإخلاص ١١٢/١-٢] قال: أما
الأحد فقد عرفته. فما الصمد؟ قال: الذي يصمد إليه في الأمور كلها
[أي يتوجه إليه بطلبها]، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم. أما سمعت بقول الأسيدي حيث تقول [من الطويل]:

[وهي هند بنت معد بن نضلة الأسيدي] وقد تتوزع في نسبته
بينها وبين سيرة بن عمرو الأسدي:

ألا بَكَرِ النَّاعِي بِخَيْرِي بَنِي أَسَدٍ
بِعَمْرٍو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ.

٦- ومثلما حدث في المعاجم اللغوية التي قام عليها الرجال على تتوع
مناهجها أن اعتمدت شواهد نسائية في الاحتجاج على ما دونه من
ألفاظ لغوية — فقد اعتمد النحاة للعرب وهم الرجال في مؤلفاتهم
النحوية على شواهد نسائية في الاحتجاج بها على عدد من المسائل
الأسلوبية والتركيبية، من دون اعتراض أو احتراز أو تقليل لقيمتها
الحجية والتوثيقية، لمجرد أنها منسوبة إلى امرأة، وفيما يلي تصديق
لقبول شهادتها.

فمن المؤلفات النحوية المبكرة كتاب سيبويه وهو كتاب لا يمكن
الذيل منه أو من مكانته في تاريخ التراث النحوي للغوي عراقية ونفاسة
وصحة وعلو، فالتوقف أمام سيبويه باعتباره صاحب أول مؤلف نحوي
يصل إلينا مقصوداً لما ذكرنا.

وقد اعتمد سيبويه عدداً من الشواهد النسائية في سياق احتجابه
على صحة عدد من التراكيب العربية.
وقد وصل بها المرحوم الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة إلى
تمتع شواعر يقول رحمه الله في كتابه: فهارس كتاب سيبويه ودراسة له
(ص ١٨٨) تحت عنوان: "الشواعر في كتاب سيبويه:

- | | |
|------------------------|-------------------|
| ١- حميدة بنت النعمان. | ٢- خرنق بنت هفان. |
| ٣- الخنساء [بنت عمرو]. | ٤- ثرني بنت عجة. |

- ٥- صفية بنت عبد المطلب.
٦- ليلى الأخيلية.
٧- بنت مرة بن عاهان.
٨- ميسون بنت بحدل الكلابية.
٩- هند بنت عتبة*.

وهذه التسعة الأسماء جاءت في مقابل ٢٢٩ اسما للشعراء الرجال من غير احتساب للقوافي العائرة، غير المنسوبة بنسبة تمثل ما يقرب من ٠.٠٤٠٪ من مجموع الشعراء المذكورين في الكتاب، وهي نسبة قليلة ولا شك لكنها كافية في هذا المقام، وهي قائمة تتأزعا لزمان الجاهلية وصدر الإسلام والدولة الأموية.

وقد أضاف إليها المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب في دراسته: أسطورة الأبيات الخمسين في كتاب سيويه عددا آخر من الشواهد من وقع ما استطاع عزوه من الشواهد التي كان يُظن أنها عائرة النسبة في الكتاب وهن كما يلي:

- ١- بنت أبي حصين المنهجية.
٢- شماء الهذلية.
٣- أسماء الهذلية.
٤- الفاخنة بنت عدي (أو نائحة عدي بن أخت الحارث بن أبي شمر).
٥- الفارعة بنت معاوية بن قشير.
٦- وإليك الشواهد النسائية في الكتاب:

الكتاب(هارون)	الشاعرة	البحر	موطن الشاهد
٢٨٠/٤	ليلى الأخيلية	من الطويل	بقاء همزة أفعل للضرورة الشعرية.

• تلت على حُص الرعوس كأنها

كرات غلام في كساء مؤرنب

الامتاع في الإخبار بالمصدر عن أسماء الفاعلين.	من البسيط	الخنساء	٣٣٧/١
---	-----------	---------	-------

• ترتع ما رتعت حتى إذا انكرت فإنما هي إقبال وإدبار

إعمال المشتق الطبييون في معاهد لثبات نون الجمع.	من للكامل	الخرنق بنت هفان	٥٨/٢، ٢٠٢/١ ٦٤
---	-----------	--------------------	-------------------

• لا يبعدن قومي الذين هم

• النازلون بكل معترك والطبيون معاهد الأزر.

وفي الموضع الثاني ٦٤٥٨/٢ استشهد به برواية (النازلين) نصبا على المدح والتعظيم، ورواية الرفع على الابتداء.

مجنى الضمير المنفصل إياك لعنم إمكان استخدام الضمير المتصل.	(أسطورة الأبيات ١٠٧) من الوافر	فاخته بنت عدي	٣٥٧/٢
---	--------------------------------------	------------------	-------

• لعمرك ما خشيت على عدي

• ولكني خشيت على عدي

تتوين نوفل مع وصفه باين.	(أسطورة الأبيات ١٠٧) من الوافر	الفارعة بنت معاوية	٥٠٥/٣
-----------------------------	-----------------------------------	-----------------------	-------

• هي ابنتكم وأختكم زعمتم لشعبة بن نوفل ابن جسر.

٢٤٨/٢	حميدة بنت النعمان	(أسطورة الأبيات ١١٣) من الطويل	منع صرف جذام حملا على العلمية والتأنيث مع إمكان تنوينه للتذكير.
-------	----------------------	--------------------------------------	---

• نبا الخز عن رَوْح وأنكر جلده

وعجّت عجيجا من جذام المطارف.

٤٥/٣	ميسون بنت بحدل	(أسطورة الأبيات ١١٤) من الوافر	نصب تقر بأن المضمرة لانعدام عطفه على ما قبله وهو اسم.
------	-------------------	--------------------------------------	--

• للبس عباءة وتقرّ عيني أحب إليّ من لبس الشفوف.

٥١٦/٣	بنت مرة بن عاهان	(وفي أسطورة الأبيات ١١٤ لبنت أبي الحصين المنحجية) من الوافر	توكيد فعل الشرط بالنون وليس من مواضع التوكيد.
-------	---------------------	--	--

• من يشقّن منهم فليس بأثب أبداً وقتل بني قتيبة شافي.

٣٤٤/١	هند بن عتبة	(أسطورة الأبيات ١١٦) من الطويل	نصب أعياراً بفعل للدلالة على التقل والتحول.
-------	-------------	--------------------------------------	---

• أفي السلم أعياراً جفاء وغلظة

وفي الحرب أشباه الإماء العوارك.

٥١٢/٣	للى الأخلية	من الطويل	توكيد الفعل بالتون في ليفعلن.
-------	-------------	-----------	-------------------------------------

• تُساور سورا إلى المجد والعل

وفي نمي لئن فعلت ليفعلا.

٣١٦/١	الخماء	من المتقارب	نصب فا = فم بفعل محذوف.
-------	--------	-------------	----------------------------

• وداهية من نواهي المنو ن ترهبها الناس لا فالها.

١٨٠/١	ثرنا بنت عبية	من الطويل	الفصل بين المتضايين بالجار والمجورور.
-------	------------------	-----------	--

• هما أخوا في الحرب من لا أخا له

إذا خاف يوما نبوة فدعاهما.

٢٦١/١	للى الأخلية	من الكامل	نصب ظالما ومظلوما مع إضمار كان.
-------	-------------	-----------	---------------------------------------

- لا تقربن الدهر آل مطرف إن ظالما أبداً وإن مظلوما.

إضافة ثنا إلى حنظل على تقدير من حنظل.	(أسطورة الآيات ١٢١) من الرجز	شما الهذلية	٦٢٤١٥٦٩/٣
--	------------------------------------	-------------	-----------

- كان خصييه من التلذذ

ظرف عجوز فيه ثنا حنظل.

استخدام أم لأنها جعلت الأقط والتمر شيئا واحداً.	من الرجز	صفية بنت عبد المطلب	١٨٢/٣
--	----------	------------------------	-------

- كيف رأيت زبرا

أقطا لو تمرا

أم قرشياً صقرا.

٧- فإذا ما انتقلنا بعيدا عن المعاجم اللغوية والمؤلفات النحوية التي
أخذنا من كتاب سيبويه نمونجا عليها إلى مؤلفات فقه اللغة عند
العرب، وهي التي تحاول دراسة الظواهر اللغوية العربية ومحاولة
تفسيرها، بقوانين مطردة في المستويات اللغوية المختلفة - رأينا
الأمر نفسه وهو أمر الرواية عن النساء، واعتبار شواهدهن،
وإيرادها في سياق الاحتجاج والاستشهاد.

ومن أهم المؤلفات العربية التراثية في هذا الميدان كتاب اللغوي ابن جنى ٣٩٢هـ (الخصائص) حيث أورد فيه روايات عن الأعرابيات، بل تعدى ذلك فروى عن أعرابيات مجهولات يقول: "وروينا عن الفراء أنه قال: سمعت أعرابية من غطفان وزجرها ابنها، فقلت لها ردي عليه، فقالت أخاف أن يجوهني بأكثر من هذا. قال هذا من الوجه، أرادت يواجهنى".^١

وقد استشهد ابن جنى محتجا بكثير من الشواهد النسائية على كثير من المسائل اللغوية من مثل ما يلي:

- ٢٠٥/٢ قولها (أي الخنساء) من البسيط:
فإنما هي إقبال وإدبار.
- ٢٧٣/٢ قالت (الخنساء) من المتقارب:
فإما عليها وإما لها.
- ٤٦/٣ قولها (الخنساء) من المتقارب:
فأولى للنفس أولى لها.
- ١٧٥/٣ "ومنه بيت (الخنساء) من المتقارب:
أبعد ابن عمرو من آل الشريب — عد حلت به الأرض أنقالها.
- ٢٩٦/١ قول (برنا بنت عجة) أو (عمرة الخنسية) من الطويل:
إذا هبطا الأرض المخوف بها الردى
يخفض من جأشيهما منصلاهما.
- ٨٠/١ قولها (زينب بنت الطثيرة) من الطويل:
فتى قد قد السيف لا متأرف ولا رهل لباته وبأدله.

^١ الخصائص ٧٨/٦ وانظر: الفهرس المفصلة لخصائص ابن جنى ٢٦٢.

• ١٢٢/٢ "بيت (زينب بنت الطثرية) من الطويل:
إذا نزل الأضياف كان غورًا رمين بالطرف مداه الأبعدا.

• ٢١٩/٢ "ومنه قول الأخرى (هند بنت عتبة) من الرجز:
لأنكحن بيته جارية خذبه.
مكرمة محبه تحب أهل الكعبه.

وهذه الشواهد تدل على اعتماد اللغويين العرب على بعض الشواهد النسائية وامتداد زمان الاحتجاج بشعرها حتى عصر الفراء وابن جني كما رأينا.

٨- ومن الكتب اللغوية المتقدمة كتاب مجالس ثعلب ٢٩٣هـ التي اشتملت "على ضروب شتى من علوم العربية، وضممت في تضاميتها كثيرا من المسائل النحوية على مذهب الكوفيين. ونستطيع أن نقول إن هذه المجالس من أهم الوثائق العلمية في بيان مذهب أهل الكوفة^١، وإن لم تختف الرواية لأراء البصريين بإطلاق.
من هذه المواضع:

• ١٠٧/١ " وأنشد (ثعلب) وكثير من الناس ينسبها إلى حبة (أم منظور بن مرثد) من الرجز:

ياؤها المغتر بالضلال

إن كنت في تحل الأهل

وهي قصيدة طويلة من خمسة وثلاثين بيتا أوردها.

^١ انظر مجالس ثعلب مقدمة المحقق ٢٤.

كما أنشد لغيرها يقول: "وأشدنا أبو العباس (لغادية بنت قزعة)
تقول لابنها، من الرجز:

يا ليقته قد كان شيخاً أرمصاً
تشبه الهامة منه للدومصاً

ثم أورد خمسة أبيات.

٩- ومن التراث اللغوي الكبير عند العرب تراث مؤلفات معاني القرآن وهي مؤلفات نحوية في المقام الأول، تتناول للنص القرآني الكريم من بوابة النحو أو هي تفسير نحوي للكتاب العزيز.

وقد كان مرّ بنا أن الفراء كان يسمع من النساء الأعرابيات فيما نقله أبو عبيد في الغريب المصنف ثم فيما نقله ابن جنّي في الخصائص، وذلك مبيّث في كتابه معاني القرآن.

ومن هذه الكتب كتاب الأخفش ٢١٥هـ معاني القرآن. فقد أورد فيه مؤلفه عدداً من الشواهد تدل على ما نحن بصدده من أمر عدم استبعاد المرأة من حلبة الإسهام في الدرس اللغوي عند العرب.

• ٥٩٦/٢ وما جاء فيه؛ ما رواه الأخفش بإسناد منكور عن أمّة أم النبي صلى الله عليه وسلم أنها أتت في منامها فقال لها: "إنك قد حملت بسيد البرية سمّيه محمداً. وإن اسمه في التوراة أحمد".
ومن شواهد النساء في الكتاب:

• ٤٥٥/٢ وقال الشاعر [عاتكة بنت زيد] من الكامل:
هبلتك أمك إن قتلت لمسلماً وجبت عليك عقوبة المتعمد.

• ١٠٣/١ [الخنساء] من البسيط:

ترتع ما رتعت حتى إذا نكرت فإنما هي إقبال وإدبار.

• ٣٦١/١ [للخنساء أو للزباء] من الرجز:

ما للجمال مشيها ونيدا أجدلا يحملن أم حديدا.

١٠- ومما يوضح قيمة الشاهد النسائي وتقدير حجيته ما جاء في تراث
لحن العولم، حيث أتخذت شواهد النساء أدلة لتصحيح أخطاء
وقعت، ولحن فيها.

ومن أوائل هذه المؤلفات كتاب ما تلحن فيه للعامة للكسائي
١٨٩هـ.

ومن الأمثلة الواردة فيه:

• ١١٦- ويقال سوار المرأة يكون في يدها، ويقال: إسوار بالألف
ويغير الألف، وفي الجمع أسورة وقالت الخنساء في الإسوار (من
البسيط):

مثل الرديني لم تنس حديثه كأنه تحت طي البرد إسوار.

• ١٢٨- وتقول مشيت حتى أعيبت بالألف وتقول عيبت قال
الشاعر [امرأة مهزولة من العرب] (من الرجز):

ترحزحي عني يا برنونه.

إن البرانين إذا جرينه.

مع العتاق ساعة أعيبه.

١١- وإذا كنا رأينا الشاهد النسوي قد وجد مكانه في مؤلفات فروع
النظرية اللغوية عند العرب، سواء على مستوى المعجم أو
التركيب والنحو أو على مستوى تراث فقه اللغة ولحن العامة -
فإنه لم يغب كذلك عن مؤلفات أصول النحو:

ومن ثم فإن كتاب الأصول في النحو لابن السراج — أبي بكر محمد بن سهل المعروف بابن السراج المتوفى ببغداد سنة ٣١٦هـ — من أمهات كتب الفن.

"ولعله أخطر مصنف نحوي بعد سيبويه وقد عُني فيه عناية بالغة سيبويه والمبرد والأخفش الأوسط بحيث صار لزاما على من أراد أن يعرف نحو هؤلاء الأئمة أن يرجع إلى كتاب ابن السراج هذا".^١
وقد أورد ابن السراج في ثنايا أبوابه عدداً من الشواهد النحوية وذلك اعترافاً منه بقيمة تلك الشواهد:

• يقول ١٥٠/٢ "مما نصب من الأفعال المضارعة لما عُطف على اسم قول الشاعر (من الوافر):

لللبس عباءة وتقر عيني أحب إليّ من لبس الثنوف.

وهو لميسون بنت بحدل الكلابية زوج معاوية رضي الله عنه.

• ومنه ٣٢٩/٣ في الاستشهاد على صحة مني فسي مثين (قول للراجز):

حيدة خالي ولقيط وعليّ.

وحاتم الطائي وهاب المنى.

• ثم زاد ٣٣٢/٣ عليها في موضع لاحق ثالثاً:

بأكل أزمان الهزال السني.

^١ فهرس كتاب الأصول في النحو ٣.

والأبيات لامرأة من بنى عقيل أو لامرأة من بنى عامر، وزاد
المرحوم الدكتور محمود محمد الطناحي أنها لليلى الأخيلىة فى فهارسه
للأصول ص ٧٤.

أضف إلى هذا أنه لم يرد فى قائمة الأسباب القاضية ببرد
المرويات والشواهد فى مجال اللغة تأثراً بما حدث فى مجال الحديث -
أى ذكر عن أن الرواية عن المرأة قاضية ببرد الشاهد المرورى عنها،
لأنه جاء عن طريق النساء وليس فى العوامل التى تمس الضبط التى
تُرد الرواية من أجلها شئ كذلك عن مجرد الرواية عن النساء^١.
إن اعتبار شواهد النساء أو الرواية عنهن أمر كافٍ فى هذا السياق للرد
على مزاعم الحركة النسوية فيما يتعلق بقهر الرجل للمرأة، إذ "الشاهد
هنا فى البحث اللغوى يصدق دعوى أن تلك الكلمة أو الصيغة أو العبارة
أو الدلالة من كلام العرب"^٢.

ومن ثم فإن علم المرأة وشواهدا ومروياتها أسهم فى بناء
دراسات الشرع فى جانب من جوانبها؛ لأنه قام على تفسير النص
العزىز، وشروح السنة المطهرة وهذان الأمران اعتماداً على شواهد
اللغة، ولم نجد فى كتب القوم من الأوائل أو غيرهم فى فنون علوم
العربية من تتكر لشواهد النساء أو للرواية عنهن!

ومن ثم فإنه يمكننا أن نقرر فى اطمئنان أن المرأة أسهمت فى
إثبات القاعدة^٣، وتأسيس صحيح الدرس اللغوى عند العرب.

^١ انظر مصطلح الحديث وأثره فى الدرس اللغوى عند العرب ١١٦.

^٢ الاحتجاج بالشرع فى اللغة ٥١.

^٣ الاحتجاج بالشرع فى اللغة ٦١ وكشاف اصطلاحات الفنون (شهد) ٩٩/٤.

ومما تقدم يمكن أن نقرر أنه ظهر أن عقلية الرجل العربي المسلم، في مرحلة الجمع اللغوي أو التأليف والتعديد لم تمارس عنصرية أو تحيزاً أو قهراً ضد المرأة أكد ذلك ما رأيناه من روايته عنها في مرحلة الجمع اللغوي التي قام بها الذكور من علماء اللغة، ومما رأيناه من اعتمادهم للشواهد النسائية، واعتبارهم إياها حجة تقوم — مع غيرها مما هو منسوب للرجال سمعبء توثيق الألفاظ والأساليب، وأن الاستشهاد أو الاحتجاج بما أنتجته فريحتها شعراً ونثراً في مجال اللغة والنحو أمر معتبر.

كما راعى البحث في النظر إلى الشواهد للنسائية التي قالها نساء صحابيات رضي الله عنهن أو غيرها مما هو منسوب إلى نساء من غير من حاز شرف صحبة النبي صلى الله عليه وسلم سواء كن من العصر الجاهلي أو بعد الإسلام، لئلا يقال إن الرواية عن المرأة ممثلة في عائشة أو صفية أو الخنساء، لأنهن صحابيات لا يسع المجتمع اللغوي الذكوري المسلم تجاهلهن، بل رأينا جاهليات وإسلاميات من غير العهد النبوي. وقد انتبه البحث إلى أن الاكتفاء بشواهد الصحابيات وحدهن — وهو ما لم يحدث — يمكن أن يعزز من القول بالعنصرية أو التحيز للمرأة الصحابية، ومن هنا وجدنا شواهد المرأة أيما كان عصرها جنباً إلى جنب من دون أية تفرقة على أساس من دين أو زمان!

ولا شك أن النظر إلى الشاهد النحوي واللغوي باعتباره دليلاً أمر ظاهر في هذا السياق؛ إذ إن العلم عند المسلمين ارتبط من بدء ظهوره باقترانه بطلب الدليل أو الحجة، أو الشاهد، وهو ما لمسناه الذين ألفوا في مناهج التأليف، وسماته في الإسلام¹.

¹ انظر مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي . ٦٠.

وظلت الرواية والاحتجاج بشواهد النساء مستمرة في كل العصور التأليفية من بدء حركة الجمع والتدوين والتأليف والتععيد في الفكر الإسلامي حتى العصر الحديث، وفي كل عصور التأليف الإسلامي.

فترجم السيوطي لإشراق السوداء العروضية في البغية ٤٥٨/١، وللهنّي كاتبة المستنصر في البغية ٢٦٩/٢، وهو كتاب في تراجم اللغويين والنحاة!

ولو توقفنا قليلاً أمام معجم شواهد العربية الذي قام عليه المرحوم الأستاذ عبد السلام هارون لرأينا دليلاً يؤكد استمرار الاحتجاج بشواهد نسائية في كل العصور بموجب ما أورده من تخريجات أمام ما سجله من شواهد نسائية على مسائل العربية نحوها وصرفها وبلاغتها ولتبين لنا ما يلي:

أنه استشهد بأشعار لإحدى وستين (٦١) امرأة من مجموع ١١٥٦ شاعراً بنسبة ٥,٥٤% أي ما يفوق النصف في المئة بقليل. وأورد مئة وأربعة أبيات (١٠٤) في مقابل ستة آلاف ومائتين وأربعة وثلاثين بيتاً ٦٢٣٤ للرجال بنسبة ١,٧% واحد وسبعة في المئة من مجموع الشواهد المعزوة وعددها ٦٣٣٨ بيتاً.

ومثل الشاهد العائر غير المنسوب نسبة ٣٠% ثلاثين في المئة من مجموع الشواهد التي أوردها والبالغ مجموعها ٩٠١٥ شاهداً. وبهذا يتضح أن بعضاً من مزاعم الحركة النسوية حول قهر الرجل المرأة لم يقع على الأهل في تاريخ الدراسات اللغوية عند العرب بموجب ما مرّ وسبق أن أوردها.

فهرس مراجع البحث

- الاحتجاج بالشعر في اللغة، الواقع ودلالاته، للدكتور محمد حسن جبل، دار الفكر العربي، القاهرة سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رولية للغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، للدكتور محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة سنة ١٩٨٨م.
- الأصول في النحو، لابن السراج، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- الأعراب الرواة، صفحات في فلسفة اللغة وتاريخها، للدكتور عبد الحميد الشلقاني، دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٧٧م.
- أعمار الأعيان، لابن الجوزي، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي، الخانجي، القاهرة سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- إنباه الرواة على أنباء النحاة، للقطبي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- أنثوية العلم، العلم من منظور الفلسفة النسوية، للبندا جين شيفرد، ترجمة الدكتورة يمنى طريف الخولي، عالم المعرفة، الكويت رقم ٣٠٦ أغسطس ٢٠٠٤م.
- بحوث ومقالات في اللغة، للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- بغة الوعة فى طبقات اللغوىن والنحاة، للسىوطى، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- تاريخ التربية الإسلامية، للدكتور أحمد شلىبى، مكتبة النهضة العربية، القاهرة سنة ١٩٧٣م.
- تعليم المرأة العربية فى التراث وفى المجتمعات العربية المعاصرة، للدكتورة زىنب محمد فرىء، مكتب الأنجلو المصرىة، القاهرة سنة ١٩٨٠م.
- تفسير غرىب ما فى الصىحىن، البخارى ومسلم، للحمىءى، تحقيق الدكتورة زىنب محمد سعىء عبء العزىز، مكتبة السنة، القاهرة سنة ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.
- للجىم، لأبى عمرو الشىبانى، تحقيق إبراهيم الإبىارى، الهيئة العامة للمطابع الأمىرىة، القاهرة سنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.
- الحروف، للفارابى، تحقيق محسن مهىءى، دار المشرق، بىروت سنة ١٩٦٩م.
- الخصائص، لابن جنى، تحقيق محمد على النجار، الهيئة المصرىة العامة للكتاب، القاهرة سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- دیوان الأءب، للفارابى، تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر، الهيئة العامة للمطابع الأمىرىة، القاهرة سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- دیوان النابغة الذبىانى، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٩٠م.

- العربية، ليوهان فك، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة سنة ١٩٨٦م.
- العربية، ليوهان فك، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، دار الكتاب العربي، القاهرة سنة ١٣٧٠هـ=١٩٥١.
- العين، للخليل بن أحمد، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- الغريب المصنف، لأبي عبد القاسم بن سلام، تحقيق الدكتور محمد مختار العبيدي، المجمع التونسي، ودار سحنون، تونس سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- فصول في فقه العربية، للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة سنة ١٩٨٧م.
- فهارس كتاب الأصول في النحو لابن السراج، للدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- الفهرست، للنديم، تحقيق رضا تجدد، دار المسيرة، بيروت سنة ١٩٨٨م.
- الكتاب، لسبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة سنة ١٩٨٧م.
- اللغة واختلاف الجنتين، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة سنة ١٤١٦هـ=١٩٨٦م.

- ما تلحن فيه العامة، للكسائي، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ودار الرفاعي، الرياض سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٢م.
- مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٨٧م.
- المجموع المغيب في غريب القرآن والحديث، للمدني، تحقيق عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار التراث بدون تاريخ.
- مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي، الجفان والجاني، دمشق سنة ١٤١٣هـ=١٩٨٣م.
- المستوى اللغوي للفصحى واللهجات، للدكتور محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة سنة ١٩٨١م.
- مصطلح الحديث وأثره في درس اللغوي عند العرب، للدكتور شرف الدين الراجحي، المعرفة الجامعية، الإسكندرية سنة ١٩٨٥م.
- معاني القرآن، للأخفش، تحقيق الدكتورة هدى قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة سنة ١٤١١هـ=١٩٩٠م.
- معجم شواهد العربية، لعبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.

- مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، لفرانتز روزنتال، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- النخل، لأبي حاتم السجستاني، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية (الطبي) للقاهرة سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.



منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

الدراسة الثالثة :

إيثار الوضوح وأثره في صياغة

المصطلحات النحوية

إيثار الوضوح أو الغرار من الإبهام

مقصد من مقاصد العربية

كان حديث الجنين الذي أخرجه أبو داود في باب دية الجنين من كتاب الديات من سننه الذي يقول فيه للنبي - صلى الله عليه وسلم: "أسجع الجاهلية وكهانتها"^١ - نقطة تحول كبيرة من وجهة نظرنا في تاريخ الثقافة العربية التي عانقت الإسلام حيث جهت إلى إيثار الوضوح، وعدم الغموض والإغلاق.

وهو الأمر الذي اشتهرت به ثقافة الإسلام عموماً، حيث نص المؤلفون في العقيدة والأصول وغيرهما على تلك السمة، واعتبروها واحدة من أهم ما أسهم في سرعة لانتشار الدين الإسلامي، وفي إقبال الناس على قبوله.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه: الخصائص العامة للإسلام "إن الوضوح هو إحدى الخصائص العامة للإسلام، سواء فيما يتعلق بالأصول والقواعد أم بالمصادر والمنابع، أم بالأهداف والغايات، أم بالمناهج والوسائل"^٢.

وهذه السمة التي بدا منها الإسلام حريصاً عليها تظهر في كتابات البلاغيين العرب في محاولة تفسيرهم لنهي النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي مر بنا في هذا المفتح، يقول الدكتور/مصطفى ناصف في مقام نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن

^١ سنن أبي داود ٤ / ١٩٠ حديث رقم ١٤٥٦٨ ١٤٥٧٤ ١٤٥٧٦.

^٢ الخصائص العامة للإسلام، ١٧٣

السجع الذي هو سجع الكهانة إن "الكهانة كانت تعتمد على فتنة اللغة، وفتنة اللغة هي المعنى الذي ينبثق من قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في إحدى روايتين : " أسجاعة كسجاعة الجاهلية ". وبعبارة أخرى كانت فتنة اللغة هدفاً نفاه القرآن الكريم عن نفسه نفياً صريحاً حين جعل لغته، أو لغة الوحي المنزل به بياناً وبلاغاً، ومن ثم كان استعمال لفظ البيان جديداً في القرآن الكريم من هذه الناحية، ولكننا ننسى هذه الملاحظة البسيطة، فلفظ الكهانة لا تقصد إلى البيان، ولا توفق فكرة البلاغ، لغة الكهانة لا تخدم الإنسان، لغة الكهانة تسمحر الإنسان عن تقطنه واستقلاله^١؛ ومن أجل ذلك نهى النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - ذلك الرجل الأعرابي الذي بدا منه محاكاة لأسلوب الكهان في حديث الجنين الذي أشرنا إليه.

وقد حاول ديفين ستيوارت في مقالته: السجع في القرآن أن يتلمس مسوغاً للنهي النبوي عن السجع فقال "وفي عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يكن السجع يرتبط فقط بالكلام الفصيح بوجه عام بل بأقوال العرافين والكهان كذلك"^٢.

وقد دار جزء كبير من تخريج وجه النبي في الحديث أو تفسيره على النهي عن الإغلاق والغموض والتعقيد والتحايل؛ فمحاربة الغموض من مقاصد الدين، وهو المر الحقيقي في اعتراض النبي - صلى الله عليه وسلم - على من يتكلم بسجع الكهان.

^١ محاضرات في مذاهب التصير، وانظر كتابه نظرية المعنى في النقد العربي ١٥٨.

^٢ السجع في القرآن، لديفين ستيوارت (إبراهيم عوض) ١٥ (محمد بري) ١٠ وقد عبر المؤلف عن المسوغ الذي دعا إلى النهي بكلمة *incomprehensible* = غموض أو مبهم.

هذا الإيثار للوضوح باعتباره مقصداً من مقاصد الإسلام، وخصائصه ظهر جلياً في محاربة النبي - صلى الله عليه وسلم - وسائل الغموض والإبهام، كما ظهر جلياً من غير تأويلات في النص الأول في ثقافتنا، وهو القرآن الكريم في أكثر من سياق حيث جاء عند القرطبي في تفسيره لقوله تعالى ﴿علمه البيان﴾ [سورة الرحمن ٤/٥٥]: "الإيمان: يراد به جميع الناس، فهو اسم جنس، والبيان على هذا: الكلام والفهم، وهو مما فضل به الإنسان على سائر الحيوان"^١.

وهذا الذي أجمله القرطبي أطلال في توضيحه الجاحظ في مقدمة كتابه: البيان والتبيين حيث يقول: "ونكر الله تبارك وتعالى جميل بلاءه في تعليم البيان وعظيم نعمته في تقويم اللسان فقال: ﴿الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان﴾ [سورة الرحمن ١/٥٥-٤] وقال تعالى: ﴿هذا بيان للناس﴾ [سورة آل عمران ٣/١٣٨]، ومدح القرآن بالبيان والإفصاح وبحسن التفصيل والإيضاح"^٢.

وعلى هذا يكون إيثار الوضوح أو الفرار من الإبهام ترجمة أو تفسيراً لمصطلح البيان الذي هو "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهناك الحجاب دون الضمير؛ حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصله كائناً ما كان ذلك للبيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"^٣.

^١ تفسير القرطبي ١٧ / ١٥٢.

^٢ البيان والتبيين ١ / ٧٨.

^٣ البيان والتبيين ١ / ٧٦.

ونحن نذهب إلى أن رعاية هذا المقصد كان له أثره في صياغة المصطلح النحوي في عناوين أبواب التأليف النحوية الباكورة في العربية، ولاسيما قبل سيطرة ما يمكن أن يسمى بالاعتداد بصناعة الحدود والتعاريف، والمبالغة في توظيف آليات المنطق الأرسطي في صياغة المصطلحات، وتوخي شروط صياغتها هي والتعريفات من سمات الإيجاز والاختصار وعدم النقض الخ.

ويمكن القول إن إيثار الوضوح كان معيارا حاكما له حضوره الطاعني في التقعيد النحوي بوجه عام وإن كان الأمر هنا سيقصر على أثر هذا المعيار في بناء عنوان الباب النحوي ولاسيما في أول تأليف نحوي يصل إلينا.

وقد التفت إلى هذا المعيار عدد كبير من نحاة العربية قديما وحديثا، يقول الدكتور أحمد عبد العظيم عبد الغني في كتابه: معايير الرفض والقبول في الدرس النحوي عند عباس حسن، رحمه الله، : 'مما شاع ترده في كتب النحو: البعد عن اللبس، وقد وظفه السالفون في وصف ضوابط الأبواب كي لا تلتبس بغيرها، وفي تبرير عدم اطراد القواعد العامة على بعض مسائل الأبواب وفي اشتراط قيود بعينها تخص ما يؤدي إلى اللبس ما لم توضع له أمثال تلك الضوابط الخاصة'¹.

وقد تكرر ذكر ذلك المعيار عند المعاصرين من النحاة من مثل الأستاذ عباس حسن حيث اعتمده "لانتقاء ما يراه مما ورد من آراء السالفين واستخدم له عبارات منها:

¹ معايير الرفض والقبول في الدرس النحوي عند عباس حسن ٢٤٧.

- البعد عن الوقوع في اللبس.
- والخلو من اللبس.
- والإبانة والوضوح والفرار من اللبس.
- والفرار من اللبس والإبهام.
- ودفع اللبس وإزالة الخفاء.
- ومنع الغموض واللبس.
- وإزالة الإبهام^١.

وقد رصد الباحث للكريم صوراً كثيرة لأثر هذا المعيار في رفض الآراء النحوية أو قبولها.

ولم يظهر من صور الرفض أو القبول شيء في مجال صياغة المصطلح النحوي، أو في عنوانات الأبواب النحوية، ولم يلتفت أحد - فيما يبدو - إلى اعتماد هذا المعيار في تفسير عدد من السمات التي صبغت المصطلح النحوي في مرحلة مبكرة من مراحل التأليف النحوي عند سيبويه (المتوفى سنة ١٨٠هـ = ٧٧٧م) على وجه التحديد.

وهذا المعيار الحاكم قديم في التراث النحوي في العربية وفي تراث أصول النحو كذلك حيث جاء عند ابن السراج (٣١٦هـ - ٩٠٩م) في باب التقديم والتأخير من كتابه الأصول - في النحو - أنه من مواضع التزام الترتيب بين أجزاء الجملة كما وردت ما نصه "التقديم إذا ألبس على السامع أنه مقدم"^٢.

^١ انظر النحو الوافي ١ / ١١٠٦ - ١١٢٠ - ١١٢٣ - ١١٢٨ - ١١٤٤ - ١١٨٤ - ٢٤٧ و ٢ / ٣٦٠ و ٣ / ٣٩١

و ٤ / ٢٦٧ - ٢٨٢

^٢ الأصول في النحو ٢ / ٢٤٥.

واستمر التصريح بذلك المعيار في تراث النحاة العرب بتناقلونه لم يخل من ذلك نوع من التأليف النحوي منثورا أو منظوما.

يقول السيوطي (٩١١هـ - ١٤٨٦م) في الهمع: "ويجب البقاء على الأصل إذا حصل لبس كأن يخفي الإعراب ولا قرينة"^١ ويقول في الأشباه "اللبس محذور ومن ثم وضع له ما يزيله إذا خيف"^٢ ومما جاء عند ابن مالك (٦٧٢هـ - ١٢٥٤م) قوله في الألفية [من الرجز]. وأخر المفعول إن لبس خذّر.

ومتابعة من نص على ذلك المعيار واتخذه حاكما في بناء القواعد يصل بنا إلى حد التواتر، أو على حد تعبير ابن عقيل إن ذلك هو مذهب الجمهور^٣.

لم ينازع في هذا المعيار إلا واحد من نحاة العربية سماه التاريخ هو ابن الحاج، أحمد بن محمد الأزدي الإشبيلي، أبو العباس (٦٤٧هـ - ١٢٣٠م)^٤ وهو تلميذ الشلوبين وواضح تأخره الزمني عدة قرون بعد استقرار المعيار أصلا معتمدا في كتابات النحاة إن عددنا أصول ابن السراج أول مؤلف في بابيه.

^١ همع الهماع ٢ / ٢٥٩.

^٢ الأشباه والنظائر في النحو ٢ / ٣١٤ وقد جمعه في فصل كامل.

^٣ أنظر شرح المقدمة الجزولية (٦٥٤هـ - ١٢٣٧م) ٢ / ٥٩١ وشرح الجمل لابن عصفور

(٦٦٩هـ - ١٢٥١م) ١ / ١٦٣ والمقرب له ١ / ٥٣ ولوضح المسالك لابن هشام

(٧٦١هـ - ١٣٤١م) ٢ / ١١٩ وإرشاد المسالك إلى حل ألفية ابن مالك لابن القيم

(٧٦٧هـ - ١٣٤٦م) ١ / ٣١٢ وشرح ألفية ابن مالك لابن جابر (ق ٨ هـ) ٢ / ١٣١

وشرح المكودي (٨٠٧هـ - ١٣٨٥م) ١ / ٢٧٤ وهمع الهماع للسيوطي ٢ / ٢٥٩ والأشباه

والنظائر له ٢ / ٣١٤.

^٤ أنظر البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ٦٣ ترجمة ٥٦ وبغية الوعاة ١ / ٣٥٩ ترجمة ٦٩٨.

وقد اعتمد ابن الحاج في منازعته النحاة في هذا المبدأ أو المعيار أو الأصل على أمرين هما:
أولهما: أن العرب لها غرض في الإلباس.
آخرهما: أن سيبويه لم يذكر في كتابه شيئا من هذا الغرض.

وقد نقض المرحوم الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م) الدليل الأول الذي اعتمده ابن الحاج قائلا "إن العرب لا يمكن أن يكون من أغراضها الإلباس؛ إذ من شأن الإلباس أن يفهم السامع غير ما يريد المتكلم، ولم توضع اللغة إلا للإفهام".^١
وهذا كلام صحيح يتأكد إذا كان في مجال العلم والمعرفة إذ يكون طلب تحقيق الإفهام والإيضاح أكد وأشد.

وهو الأمر الذي يؤكد المرحوم الأستاذ عباس حسن (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) حيث يقول "لا التفات إلى ما يقال من أن مخالفة الترتيب جائزة مع اللبس فهذا كلام لا يسائر الأصول اللغوية العامة، ولا يوافق القصد من التفاهم الصريح بالكلام".^٢

أما فيما يتعلق بالدليل الثاني المتعلق بأن مرد منازعة ابن الحاج للنحاة معتمد على عدم إشارة سيبويه لهذا المعيار - فإن في كلام سيبويه ما يوحي به حيث جاء في الكتاب قوله "ويحتملون قبح الكلام حتى يضعوه في غير موضعه، لأنه مستقيم ليس فيه نقض فمن ذلك قوله [من الطويل للمرار لفقمسي أو عمر بن أبي ربيعة]:

صددت فاطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم.

^١ شرح الألفية لابن عقيل ١ / ٤٨٧ ح ١.

^٢ النحو الوافي ٢ / ٨٦ ح ٢.

وإنما الكلام: وقل ما يدوم الوصال^١.

وتعبير سيبويه "لأنه مستقيم ليس فيمن نقض" هو الذي جوز احتمالاً مع قبحه.

وشرطاً الاستقامة وعدم النقض يمكن حملهما على معنى: أمن اللبس وعدم خفاء المراد، فالعبارة واسعة، وأمثال ذلك كثير مبثوث في شأيا الكتاب.

إننا نستطيع أن نقرر وفقاً لما سبق أنه كما كان معيار الخوف من اللبس أو الفرار من الإبهام حاكماً في بناء القواعد النحوية في التراث النحوي في العربية، وهو ما تظاهر على إبرازه علماء النحو وأصوله، فإنه كان حاكماً كذلك في صلب المصطلحات النحوية أو تراجم الأبواب النحوية في التأليف النحوي المبكر بعدد من السمات المائزة التفت إليها الباحثون المعاصرون، وتوقفوا عند مجرد الالتفات أو الرصد.

ومنهم من عدها مرحلة بدائية ساذجة من مراحل تكون المصطلحات النحوية، وكلا الاتجاهين أغفل تفسيرها في ضوء هذا المعيار، وهو ما يقترحه هذا البحث الذي يرى أن تراجم الأبواب النحوية أو المصطلحات النحوية في كتاب سيبويه تحديداً — كانت أكثر انساقاً وانسجاماً مع روح للثقافة العربية التي اتسمت بالوضوح، وحرصت على البيان. وإن هذه السمة ضاعت مع الركون أو الانتصار لتطبيق آليات المنطق الأرسطي، والاحتكام لشرائطه في صناعة الحدود والتي طبقها النحاة العرب في صياغتهم المصطلح النحوي بعد القرن الرابع الهجري.

^١ الكتاب لسيبويه ٣١/١

• خصائص المصطلح النحوي أو تراجم الأبواب :
في التأليف النحوي المبكر عند سيبويه .

تراجم أبواب كتاب ما هي عنواناتها، وقد حظيت تراجم أبواب بعض الكتب، بقدر من الرعاية والعناية ولاسيما عند المحدثين، لدرجة أن عددا منهم أفرد تراجم بعض كتب الصحاح بالتأليف لما رأى فيها ما يستحق التوقف.

وأول دلالة تظهر لنا من كلمة التراجم هي دلالة التفسير والإبانة عما في هذا الباب أو ذاك مما وضعت عنوانا له هذه الترجمة أو ذلك العنوان.

ومن هذه التأليف في هذا الميدان: تراجم البخاري لابن جماعة (٧٣٣هـ-١٣١٣م) حيث أورد ابن جماعة تراجم البخاري أو عنوانات أبواب كتابه الصحيح، واجتهد في بيان المناسبة التي بين الترجمة والأحاديث النبوية الشريفة التي وردت تحتها في هذا الباب أو ذاك.

وقد أسمت تراجم الأبواب في صحيح البخاري كلها بالطول، واستخدام أنواع متعددة من الجمل المعرفة الشارحة لمضمون الباب الدال على مراد البخاري من جمعه الأحاديث وترتيبها.

وقد حرصت على بيان ذلك الإسهام في هذا الباب من قبل علماء الحديث، وانصراف هذا الإسهام إلى صحيح البخاري (٢٥٦هـ-٨٥١م) وهو متقدم قريب جدا من عصر سيبويه؛ لأئلك على أن ذلك كان سمنا غلب على التأليف العربي في هذه الحقبة من تاريخ العلم عند المسلمين.

ولم تكن هذه السمة المائزة حكراً على أبواب صحيح البخاري، بل اتسم بها التأليف قبله، حيث تبرز كذلك في الموطأ للإمام مالك (١٧٩هـ-٧٧٦م)^١.

وقد اتسمت تراجم أبواب كتاب سيبويه بعدد من السمات كانت هي هي السمات التي اتسمت بها مصطلحاته على أساس أن تراجم الأبواب ترادف دلالة المصطلح في الكتاب.

وأهم هذه السمات هي: (طول المصطلح)، أو إطالة تراجم الأبواب، وقد لاحظ هذه السمة كثير من الباحثين الذين درسوا الكتاب أو فهرسوا لما فيه.

من هؤلاء الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة - رحمه الله - (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) في دراسته لأسلوب الكتاب، حيث قرر أن العناوين (التراجم) في الكتاب تتسم بالطول^٢.

وهو ما لاحظته الأستاذ على النجدي ناصف (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) - رحمه الله - كذلك حيث قال: 'وسيبويه في عبارة الكتاب يؤثر الانصباب والاسترسال ... ما تكاد تقرأ العنوان حتى يسلمك من حيث لا تشعر إلى الباب'^٣.

وهو ما لاحظته كذلك غير باحث من مثل الدكتور فوزي مسعود في كتابه سيبويه جامع النحوي العربي^٤.

^١ انظر موسوعة علوم الحديث الشريف (مختل تراجم الرواة والأبواب والأسانيد) ٢٥٠.

^٢ فهرس كتاب سيبويه للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ٩٦.

^٣ سيبويه إمام النحاة ١٥٩.

^٤ انظر سيبويه جامع النحو العربي ٧٩.

لكن ما يهمنا هنا هو أننا نريد أن نزعم أن الركون إلى طول المصطلحات أو طول تراجم الأبواب عند سيبويه كان يهدف إلى إيثار فكرة التوضيح.

وقد التفت إلى ذلك كثير من الدارسين يقول الدكتور عبد الرحمن السيد في دراسته: مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها: وعندما عرض (أي سيبويه) لأضرب البذل ذكر اثنين منهما قريبا مما نعرفه من المصطلحات وعبر عن الاثنين الآخرين بما يوضحهما، قال: اعلم أن البذل في الكلام يكون على أربعة أضرب:

- فضرب من ذلك أن تبدل الاسم من الاسم إن كانا لشيء واحد .. والضرب الآخر أن تبدل بعض الشيء منه .. والضرب الثالث أن يكون المعنى محيطا بغير الأول الذي سبق الذكر لالتباسه بما بعده، فتبدل منه الثاني المقصود في الحقيقة [= البذل المبين] ... ووجه رابع لا يكون مثله في قرآن ولا شعر ولا كلام مستقيم، وإنما يأتي في لفظ الناسي أو الغالط [بدل الغلط]^١.

وما يهمنا هنا في هذا النقل هو التفات الدكتور عبد الرحمن السيد إلى إرادة التوضيح التي أملت على سيبويه هذا الصنيع.

وتفسير هذا الطول في إطار من عدم النضج الذي لم يكن قد أتىح للمصطلحات النحوية نغمة شائعة في الدرس النحوي المعاصر يقول الدكتور عوض حمد القوزي في دراسته: المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري: 'ما نلاحظه عند سيبويه من طول عناوانات الأبواب فذلك يمثل مرحلة تطورية غير ناضجة من حياة

^١ مدرسة البصرة النحوية ٢٤١ وانظر الكتاب لسبويه ١ / ١٥٠ وما بعدها.

المصطلح يمتزج فيها مفهوم المصطلح للفكرة النحوية مع حدودها وتعريفها^١.

وهذا تحليل ركن إلى اليمين، ولم يذهب في تحليل أنماط المصطلح عند سيبيويه من زاوية خريطة المعرفة الإسلامية، ومن زاوية نظرية المقاصد التي كانت تسعى إلى تحقيق عدد من العلامات المهمة يأتي في مقدمتها: اعتماد التوضيح والتفهيم؛ توصيلاً لأمانة العلم، ومن ثم شاع في كثير من تأليف ذلك العصر المبكر نحوية وغير نحوية إطالة تراجم الأبواب أو عناوينها، تحقيقاً لأغراض محددة بالإضافة إلى ما سبق ذكره، وهي:

- ١- تحقيق الإعلام بمضمون الباب في ترجمته أو عنوانه.
- ٢- تحقيق بيان المناسبة بين ترجمة الباب أو عنوانه وبين المعلومات الواردة فيه.
- ٣- الدلالة على مطابقة العنوان لما يرد تحته.
- ٤- إظهار التداخل المعرفي (تداخل الاختصاصات) الذي كان سمة غالبية على التأليف في ذلك الزمان؛ بمعنى أن المصطلح أو العنوان أو ترجمة الباب كان يتضمن في كثير من الأحيان المعلومات النحوية بجوار المعلومات الصرفية، ولاسيما إذا كانت متعلقة ببيان كيفية صياغة الكلمة، إلى جانب المعلومات البلاغية، وغير ذلك من المعارف.

ولذلك فإننا نرى أن صنيع سيبيويه يكاد يقترب إلى حد ما من طريقة استخدام الحد المفهومي 'intensional defination'.

^١ انظر معجم المصطلحات اللغوية للدكتور منير بطيكي ٢٥٢

أو استخدام القول الشارح في تعبير القماء في مقام المصطلح نفسه، بمعنى أنه يسعى إلى حد الباب النحوي عن طريق جمع خصائص مسائله التي تحدد استعماله في ترجمة الباب أو عنوانه ومن هنا فإن ما فعله سيبويه هو أنه توصل إلى نتائج أو معان صاغها في حدود مفهومية أو عبارات طويلة أو مصطلحات قابلة لبيان ما يرد تحتها من معلومات نحوية، ولا صعوبة في تداولها إذا ما نظرنا إليها من الناحية المضمونية؛ لأنها بما تحمله من مفاهيم أو مضامين أساسها استنباط سيبويه لشواهد مسائله تحت ترجمة الباب - تكون قد اتسمت بأكبر قدر من الوضوح والتجلية *disambiguation*¹.

وقد حقق سيبويه غرضه عن طريق عدد من الأشكال نجملها فيما يلي:

أ- استخدام المصطلح الجملة أو العنوان التعريف.

ب- استخدام المصطلح للكلمة المرتكز على الدلالة المركزية في البنية النحوية.

ج- استخدام المصطلح المثال / المصطلح المعتمد على التمثيل.

ونقصد بالنموذج الأول استخدام التعريف الواصف باعتباره أنه هو المصطلح المشعور بالمفاهيم النحوية (أو التركيبية) التي يتضمنها حديثه تحت هذا العنوان / التعريف، أو ذلك، من مثل:

¹ انظر: سبعة أملاط من الضموض ٤٤٩.

- الكتاب** **عنوان الباب وملاحظاتنا / المصطلح النحوي المستقر.**
- ٢٦ / ١ باب ما يحتمل الشعر.
- وفيه دلالة على تجويز تعبيرات وحصرها في دائرة الشعر) = (مصطلح الضرورة).
- ٧٢ / ١ باب ما يعمل عمل الفعل ولم يجر مجرى الفعل ولم يتمكن تمكنه.
- (ويلاحظ في هذا الإطار الوصفي إشارته إلى العمل النحوي + وإلى خصائص ذلك للنوع من الأفعال الصرفية، مما يؤكد فكرة تكامل الرؤية أو تداخل الاختصاصات) = (فعلا التعجب والمدح).
- ٨٠ / ١ باب ما يكون فيه الاسم مبنيا على الفعل فتم أو آخر، وما يكون فيه الفعل مبنيا على الاسم.
- (ويلاحظ فيه اعتبار الموقع محورا أساسيا في بناء الجملة سواء كان شاغل هذا الموقع فعلا أو اسما مع مراعاة لفظ (مبنيا) الذي يدور معناه حول معنى العمل النحوي) = (مصطلح الاثتغال)^١.
- ١٥٠ / ١ باب من الفعل يستعمل في الاسم ثم يبذل مكان ذلك الاسم اسم آخر فيعمل فيه كما عمل في الأول = (مصطلح البذل).
- ١٦٤ / ١ باب من اسم الفاعل الذي جرى مجرى الفعل المضارع في المفعول في المعنى، فإذا أردت فيه المعنى ما أردت في يفعل كان نكرة منونا.

^١ انظر: نصوص في النحو العربي للدكتور يعقوب السيد بكر ٣١ ح ١

- (ونحن واجدون في هذه الترجمة حديثاً عن دلالة المشتق، وبعضاً من شروط إعماله عمل الفعل) = (إعمال اسم الفاعل).
- ١٨٩ / ١ باب من المصادر جرى مجرى الفعل المضارع في عمله ومعناه = (إعمال المصدر).
- ٢٢٨ / ١ باب ما يكون من المصادر مفعولاً فيرتفع كما ينتصب إذا شغلت الفعل به، وينتصب إذا شغلت الفعل بغيره = (المفعول المطلق).
- ٢٤١ / ١ باب من الفعل سمي للفعل فيه بأسماء لم تؤخذ من أمثلة الفعل الحادث.
- (ويظهر في هذه الترجمة الإشارة إلى فوراق ما بين الفعل واسم الفعل، والإشارة إلى العمل النحوي المساوي لعمل الفعل) = (اسم للفعل الأمر).
- ٢٦٧ / ١ باب ما ينتصب من المصادر لأنه عذر لوقوع الفعل. (وواضح فيه الدوران حول الشرط المركزي المميز لهذا المفعول وهو كونه عذراً أو علة لوقوع الفعل كما نلمح تحديد نوع المشتق) = (المفعول لأجله)¹.
- ٣٧٠ / ١ باب ما ينتصب من المصادر لأنه حال، وقع فيه الأمر فانتصب؛ لأنه موقوف فيه الأمر. = (الحال غير المشتقة).
- ٤٠٣ / ١ باب ما ينتصب من الأماكن والوقت وذلك لأنها ظروف تقع فيها الأشياء، وتكون فيها.
- (لاحظ دلالة النصب والمكانية والزمانية والإلحاق

¹ انظر: نصوص في النحو العربي للدكتور يعقوب السيد بكر ٤٠ ح ١

- على معنى فيها) = مصطلح الظرف/أو المفعول فيه.
- ٤٢١ / ١ باب مجرى النعت على المنعوت والشريك على الشريك والبدل على المبدل منه وما أشبه ذلك = التوابع.
 - ١٨ / ٢ ما يجرى عليه صفة ما كان من سببه = النعت السببي.
 - ٥٧ / ٢ باب ما ينتصب فيه الاسم لأنه لا سبيل له إلى أن يكون صفة = قطع النعت وجوبا.
 - ١٣١ / ٢ باب الحروف التي تعمل فيما بعدها عمل الفعل فيما بعده = إن وأخواتها.
 - ٨ / ٣ باب ما يعمل في الأفعال فيجزمها = جوازم الفعل.
 - ٦٩ / ٣ الأسماء التي يُجازى بها وقد تكون بمنزلة الذي. (ويلاحظ فيه الالتفات إلى ما يترتب من نتائج أو جزاء) = أدوات الشرط.
 - ٢٢٧ / ٣ باب ما كان على مثال مفاعل ومفاعيل (ويلاحظ فيه حصر الصيغة بالتمثيل) = (صيغة منتهى الجموع).
 - ١٤ / ٤ باب تجيء فيه الفِعلَة تريد بها ضربا من الفعل = اسم الهيئة.
 - ٩٤ / ٤ باب ما عالجته به = اسم الآلة.

وفي هذه النماذج التي مرت ما يوحي بالاعتماد في المقام الأول على التعاريف أو الجمل واستخدامها عنوانات للأبواب أو تراجم لها، وقد ظهر كذلك اعتماده، على التمثيل.

ومن أمثلة اعتماده على الدلالة المركزية في المصطلحات التي جاءت كلمات مفردة تسميته عطف النسق باسم الشركة أو الإشراف، وهي الدلالة المحورية التي تقوم بها حروف العطف أو النسق حيث تشترك ما بعدها مع ما قبلها في الفعل والعمل أو في المعنى والإعراب^١.

ولم تختف هذه الملامح التي ميزت تراجم الأبواب في التأليف النحوي المبكر التي اتخذنا من كتاب سيبويه نموذجاً عليها إلا مع ما سمي بمرحلة الاستقرار في بناء المصطلح النحوي ونضجه بعد القرن الهجري . وهي ما يمكن أن نسميها مرحلة حصد آثار الثقافة الكلامية والفلسفية التي أنتجت ثقافة صناعة الحدود والمصطلحات التي حرصت على تطبيق اشتراطات المناطقة والمتكلمين في صناعة المصطلحات أو صياغتها ووضعها من مثل: الاختصار والإيجاز وعدم النقص أو للعكس إلخ.

وهي الاشتراطات التي تبنتها المصطلحية المعاصرة التي تقرر أنه "ينبغي أن يكون (المصطلح) لفظاً أو تركيباً، وألا يكون عبارة طويلة تصف الشيء وتوحي به"^٢.

وإيثار علم المصطلح لهذه السمة له ما يسوغه في بنىة العلم المعاصر التي تنظر إلى التراكم والحفظ.

^١ انظر الكتاب لسبويه ١ / ٣٨٩.

^٢ الأسس اللغوية لعم المصطلح . ١٥.

لكننا نرى أن سيبويه بما تحقق له من بعض العناصر الوصفية^١ من جانب، وبما يظهر من ارتباط النص الذي هو كتابه بوظيفة محددة هي خدمة النص الأوسع في ثقافتنا وهو القرآن الكريم في المقام الأول، من جانب آخر - هما العاملان اللذان وسما مصطلحاته أو تراجم أبوابه بهذا الطول، فالجزء الشكلي القائم على وصف الظاهرة، ثم إرادة خدمة النص القرآني هما المسئولان فعليا عن هذه السمة؛ ولذلك يمكن رفض اتهام المصطلح النحوي عند سيبويه بالسذاجة من هذا الباب.

وهذا هو الخيط الذي التقطه الدكتور محمد فكري للجزر في تحليله لعنوان الكتاب الذي جعله سيبويه علما على مؤلفه يقول في كتابه: العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي^٢ يبدو أن سيبويه كان واعيا بأولية التأليف الجامع لموضوعات النحو التي يضطلع بها، وكان واعيا بهذا القدر أو ذلك من تشابه كتاب نحوي في العربية وأولية كتاب ديني فيها كذلك^٣.

وبعبارة عن الإغراق في الاستنباط أو الإغراط في التأويل بين عنوان كتاب سيبويه (الكتاب) وواحد من أسماء النص العزيز الذي يرمي إلى إرادة سيبويه صنع نوع من القداسة على كتابه، مما لم تقم شواهد عليه - فإن الاحتفاء التاريخي بالكتاب يؤكد المنزلة التي احتلها الكتاب بسبب من إرادة خدمة النص العزيز.

^١ تنظر النحو العربي والدرس الحديث. وكان الدكتور سعد مصلوح لخيرني أن الدكتور عبد الرحمن لوب يرى أن سيبويه كان أقرب لعلم اللغة الحديث بتجاهه الوصفي أكثر من أثر الثقافة الهنولوجية التي حصلها سيبويه.

^٢ العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، ٢٦.

أقول بعيداً عن كل ذلك يبقى أن جزءاً من وظائف العنوان هو إرادة تحقيق الاتصال، وهو ما تؤكدُه بنية العلوم الإسلامية عموماً كما تقدم وظاهر.

غير أنه من الجدير بالذكر أن قدراً من خصوبة تراجم الأبواب في كتاب سيبويه مع طولها راجع إلى استحضار عدد من العناصر الأخرى غير النحوية بالمعنى الدقيق الذي استقر لمصطلح النحو — في صياغة عنوان الباب من مثل العناصر الدلالية أو المعنوية وربما البيانية والبلاغية وغيرها.

وهو الأمر الذي أشار إليه الدكتور سعيد بحيري عندما قرر في كتابه عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه أن "العنصر الدلالي لم يغب مطلقاً عن وعي سيبويه".^١

وهذا الوعي الدلالي عند سيبويه قاد الدكتور محمود سليمان بإقوت إلى الالتفات الذكي إلى جعل سيبويه معجماً^٢، وهو ما يؤكد دعوتنا لأن ننظر إلى الكتاب من زاوية كونه وسيلة لتحقيق الفهم والبيان عن طريق الكشف عن خصائص الأسلوب العربي.

أضف إلى ذلك في نهاية المطاف أن النظر إلى كتاب سيبويه في إطار قوائم كتب النحو التي انتهت إلى التعليمية من شأنه أن يقود إلى اتهام مصطلحاته أو تراجم أبوابه بالسذاجة وعدم النضج، لكننا نؤثر في النظر إليه أن نقف في صف من يرى النحو من نظارة الغاية الحقيقية التي أدركها القدماء عند ما سموها هذا العلم باسم علم العربية على ما نجد

^١ عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه ١٦١.

^٢ انظر: التراكيب غير الصحيحة نحوياً في كتاب سيبويه ٤٧٦.

مثلا له في واحد من التأليف المتقدمة وهو كتاب الواضح في علم العربية، للزبيدي الأندلسي.

هذه الغاية تتمثل في "الرغبة القوية في معرفة أسرار التركيب القرآني وهي بعد ذلك الرغبة في تعرف أهم المظاهر الإنسانية بإطلاق... وتمييز التراكيب بعضها من البعض الآخر، ومعرفة خصائصها، واكتناه أسرارها".

ولا شك أن هذه الغاية ستحقق تبعا لتحقيقها المحافظة على القرآن الكريم من أن يداخله أو يتطرق إليه لحن أو فساد.

إن تقييم ما فعله سيبويه في بنائه تراجم أبواب كتاب ينبغي أن يتم ويقرأ في إطار مثيله مما صنفه المحققون المسلمون الذين اعتنوا بتراجم أبواب كتبهم التي جمعت ورتبت ورويت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم من جانب.

كما ينبغي أن ينظر إلى عمل الرجل على اعتبار أن كتابه "أول أثر نحوي باق يمثل جهود المرحلة الأولى (على غير ما يقول به جمهور المعاصرين) بل يمثل نضج الفهم النحوي الراشد الذي يعني بتمييز التراكيب وكشف خصائصها، وتولمها مع ملابساتها، فسيبويه كما يقول الشاطبي في الموافقات: "وإن تكلم في النحو فقد نبه في كلامه على مقاصد العرب، وأنحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها ولم يقتصر فيه على بيان أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب، ونحو ذلك بل هو يبين في كل باب ما يليق حتى إنه احتوى على علم المعاني والبيان ووجوه تصرفات الألفاظ والمعنى".¹

¹ النحو والدلالة ١٦ - ١٧ وانظر: الموافقات ٤ / ٦٠

ومن أكمل قراءة المسألة في كتاب الاجتهاد عند الشاطبي وجده يلح إلحاحا عجيبا على استخدام مصطلح العربية بديلا للنحو أو مرادفا أكثر رشدا ونضجا منه.

إن إعادة قراءة التراث النحوي المبكر في ضوء نظرية المقاصد الإسلامية كما يحددها الأصوليون نافعة في تصحيح المسار الذي انحرف من جراء الصراعات التي جلبت كثيرا من آيات علوم أجنبية أضرت كثيرا، وإن نفعت أحيانا ومقصد الإبهام منصوب عليه في تراث الأصوليين بقول الشاطبي: إن قصد الشارع في وضع الشريعة للإبهام^١.

وبعد فقد أظهر البحث أن قراءة التراث النحوي في ضوء التراث الإسلامي ربما يكشف عن وجوه جديدة من التأويل لها قدرة على تعديل عدد من الأحكام القارة في الدرس الحديث الذي همس في تحليله فكرة تداخل الاختصاصات، وتكامل البنية المعرفية في التأليف العربي الإسلامي القديم.

كما حاول البحث أن يقرأ تراجم أبواب سيبويه في ضوء نظرية المقاصد الشرعية التي تتغيا في ضمن ما تتغيا تحقيق مقصد الإبهام والبيان والإيضاح.

^١ انظر: الموافقات ٤ / ٤٢

فهرس مراجع البحث

(أ)

- إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، لابن القيم، تحقيق الدكتور محمد عوض محمد السهيلي، أضواء السلف، بالرياض سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- الأسس اللغوية لعلم المصطلح، للدكتور محمود فهمي حجازي، دار غريب بالقاهرة، بدون تاريخ.
- الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة بيروت، سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- الأصول في النحو، لابن السراج، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت، سنة ١٩٩٢م.

(ب)

- بغية الرعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر بالقاهرة، سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للفيروزآبادي، تحقيق محمد المصري، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار سخنون، تونس، سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٥)

- تراجم البخاري، لابن جماعة، تحقيق علي عبد الله الزين، دار هجر، بالقاهرة، سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٩٢م.
- التراكيب غير الصحيحة نحوياً في الكتاب لسبويه، للدكتور محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، بالإسكندرية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٠م.
- تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بالقاهرة، سنة ١٩٨٧م.

(٦)

- الخصائص العامة للإسلام، للدكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبه، بالقاهرة، سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٧)

- سبعة أنماط من الغموض، لوليم إمبسون، ترجمة صبري حسن عبد النبي، المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، سنة ٢٠٠٠م.

- السجع في القرآن، لديفين ستيوارت، ترجمة الدكتور إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق، بالقاهرة، سنة ١٩٩٥م.
- السجع في القرآن، لديفين ستيوارت، ترجمة الدكتور محمد بريري، مجلة فصول، القاهرة، مجلد ١٢ ع ١٣، خريف ١٩٩٣م.
- السنن، لأبي داود، دار الحديث بالقاهرة، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- سيبويه أمام النحاة، علي النجدي ناصف، عالم الكتب، بالقاهرة، سنة ١٩٧٩م.
- سيبويه جامع النحو العربي، للدكتور فوزي مسعود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٨٦م.

(هـ)

- شرح الألفية، لابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار العلوم الحديثة، بيروت، مصورة، عن مكتبة السعادة بالقاهرة، سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- شرح ألفية ابن مالك، لابن جابر الأندلسي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، سنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور الإشبيلي، بغداد، سنة ١٩٧١م.

- شرح المقدمة الجزولية الكبير، للشلوبين، تحقيق الدكتور تركي سهو العتيبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.
- شرح المكودي على ألفية ابن مالك، تحقيق الدكتورة فاطمة الراجحي، جامعة الكويت، سنة ١٩٩٣م.

(٥)

- عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه، محاولة لإعادة التشكيل في ضوء الاتجاه المعجمي الوظيفي، للدكتور سعيد بحيري، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٤١١هـ = ١٩٨٩م.

(٦)

- فهارس كتاب سيبويه، للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، بالقاهرة، سنة ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م.

(٧)

- الكتاب، لسبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، سنة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

(٨)

- محاضرات في مذاهب التفسير، للدكتور مصطفى ناصف، محاضرات غير منشورة ألقاها على طلبة الليسانس، بكلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، سنة ١٩٩١م.

- مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها، للدكتور عبد الرحمن السيد، جامعة البصرة، ودار المعارف، بالقاهرة، سنة ١٩٦٨م.
- المصطلح النحوي نشأته وتطور حتى أواخر القرن الثالث الهجري، للدكتور عوض القوزي، جامعة الرياض، سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- معايير الرفض والقبول في الدرس النحوي عند عباس حسن، للدكتور أحمد عبد العظيم عبد الغني، دار النصر، بجامعة القاهرة، سنة ١٩٩٦م.
- معجم المصطلحات اللغوية، للدكتور منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٩٠م.
- المقرب، لابن عصفور الإشبيلي، تحقيق الدكتور أحمد عبد الستار الجوالي، وعبد الله الجبوري، بغداد، سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- الموافقات، للشاطبي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ.
- موسوعة علوم الحديث الشريف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بالقاهرة، سنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٥)

- النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، للدكتور عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة ١٩٩١م.

- النحو الواقي، لعباس حسن، دار المعارف، بالقاهرة، سنة ١٩٩٩م.
- النحو والدلالة، للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، القاهرة، سنة ١٩٨٣م.
- نصوص في النحو العربي من القرن الثاني إلى الرابع، للدكتور يعقوب السيد بكر، دار النهضة العربية، بيروت، سنة ١٩٧٠م.
- نظرية المعنى في النقد العربي، للدكتور مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، بدون تاريخ.

(هـ)

- مع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، بالقاهرة، سنة ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

(و)

- الواضح، للزبيدي، تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة، عمان، الأردن، سنة ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.
- الواضح في علم العربية، للزبيدي، تحقيق الدكتور أمين السيد، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٧٥م.



الدراسة الرابعة :

وأد الهيمنة

المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية في

التراث اللغوي العربي

المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية في التراث اللغوي العربي وأثرها في التواصل الثقافي مع الثقافة المجاورة.

تمهيد

في فلسفة المعاجم الثنائية في التراث العربي :

استطاع اللسان العربي، من دون قهر أن يُزِيح لغاتٍ كثيرة،
أمن أبنائها والناطقون بها بالدين الجديد، وهو الإسلام، في مواطن
كثيرة في مصر وبلدان المغرب والشام، ومواطن أخرى غيرها.

حيث تنازلت هذه البلدان عن لغاتها القديمة، طواعية، ورضيت
باللسان العربي؛ لأن شعوب هذه البلدان رأَت أن استيعابها لمعارف
الدين الجديد، لا يتم لها من غير التحول إلى لسانه الذي نزل به كتابه،
وفسرت به نصوصه، ووضحت به تشريعاته ومعالمه.

وبقيت - في جانب آخر - بلدان أخرى مستمسكة بلسانها مع
إيمانها بالدين الجديد، ولم تتحول إلى العربية، وإن استعارت منها عدداً
كبيراً من ألفاظها بحكم الاتصال الثقافي بينهما.

ومن هذه البلدان فارس أو إيران أو بلاد ما وراء النهر، على
اختلاف التسمية في مراحل التأليف الجغرافي التاريخي عند المسلمين.
وقد أثمرت هذه المنطقة الجغرافية التي احتفظت بلسانها الفارسي مع
إيمانها بالدين الإسلامي - عدداً من المعاجم الثنائية العربية الفارسية،
بمعنى أن مداخل هذه المعاجم كانت بالعربية، وشروح هذه المداخل
وبيان معاني هذه الكلمات كانت بالفارسية.

ومن هنا يتضح أن الهدف الأساسي من ظهور المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية كان هو التواصل مع أبناء ذلك اللسان الفارسي، والتفاعل معهم، ونقل مفاهيم الإسلام الذي آمنوا به إليهم، ومساعدتهم على إدراك معاني تشريعاته، وأصول أخلاقه وآدابه، وتصور نظريته للكون والحياة من غير تعالٍ، أو تسلط، أو قهر.

والدليل على أن الغرض من تأليف هذه المعاجم الثنائية العربية الفارسية - وهو موضوع هذا البحث - كان هو خدمة الثقافة الإسلامية، وإعانة من يطلب فهمها وإدراك معالمها - يكمن في أن هذه المعاجم جعلت مداخلها بالعربية؛ بمعنى أن قلرباً غير عربي، لسانه الفارسية، يقرأ ويتعلم مبادئ الإسلام المكتوبة بالعربية، وهو بعد لم يصل إلى مرحلة إتقان العربية، ثم هو يطلب من وراء ذلك إدراك دلالات ما يقرؤه، فولجأ إلى معجم مداخله عربية، وشروحها بالفارسية، لغته الأم Native language؛ لتعونه على ما تصور ما غمض، وفهم ما استنطق عليه.

وهذه الرؤية نكل على أن العلماء المسلمين من علماء المعجم لم يروا حرمان أحد من فهم ثقافة هذا الدين، ورؤا هذه إحدى مبادئه - أنه ليس حكراً على فئة بعينها، لا يصح تداولها للجميع، كما يحدث في بعض الملل الأخرى.

ومن جانب آخر فلين إيصال مفاهيم الشرع، وبيان تشريعاته جزء من الواجب المنوط بهؤلاء العلماء أدلاء؛ لأن الإسلام أوجب للدعوة إليه على كل أحد من المؤمنين به، بمقتضى النص الكريم الذي يقول فيه رب العزة سبحانه: ﴿قل هذه سبيلي أدعو على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ [سورة يوسف 12 / 108].

ومعربو القرآن الكريم يعربون ﴿مَنْ اتَّبَعْنِي﴾ معطوفاً على فاعل أَدْعُو^١؛ مما يؤكد أنه لا يصح في عرف الإسلام وأحكامه، احتكار ثقافته وتشريعاته، وحصرها في صنف من الناس بأعيانهم. بل كان العلم بهذا الدين وشرعه، منتشرًا مبذولاً، يُدعى إليه، ويُحَضُّ عليه، فمما تواترت به الأخبار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يلحق حفاظ القرآن الكريم بمن يستحق العطاء من بيت المال؛ لشرف ما حصل؛ مما يدل على قيمة مهمة وهي قدم التمويل أو الإنفاق الحكومي في تاريخ الإسلام على نشر ثقافته^٢.

أضف إلى هذا أن ثمة جانباً آخر هو إيمان المعجميين من أصحاب اللسانين، أو مزدوجي اللغة، بواحد من آداب الإسلام، وهو دلالة الناس على الخير، والتيسير على عموم الخلق، شأنهم في ذلك شأن كل المنتمين إلى الإسلام؛ ومن هنا كان تحركهم نحو التأليف في المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية؛ لإعانة غير العرب على فهم الإسلام، والتواصل مع آدابه وتعاليمه، طلباً للتأقلم أو التفاعل مع الثقافة العربية الناطق الرسمي باسم الدين الجديد.

وقد تمثل ذلك التفاعل الثقافي عندما قرر الفاتحون المسلمون الأوائل اصطحاب العلماء في فتوحاتهم لتعليم الدين لأصحاب البلدان المفتوحة؛ بهدف التواصل معهم، وإيصال الحق الذي آمنوا به إليهم. وهو الأمر الذي جعل أبناء هذه الأمم تقبل على تعلم العربية، على

^١ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٥٦١/٦ وإعراب القرآن الكريم، للعلش ٢/٢٤٧

^٢ انظر: تاريخ التربية الإسلامية للدكتور، أحمد شلبي ٢٧٤

اعتبار أن اللغة هي أهم رموز التواصل الثقافي، أو قل هي أهم مفتاح لتحصيل الثقافة التي تمثله.

معنى هذا أن النمو في العلاقات السياسية والعلمية والاقتصادية يستدعي نمواً بدرجة مماثلة في مجال الترجمة. والترجمة - في أهم الأسس التي تعتمد عليها - تقوم على أكتاف المعاجم الثنائية اللغة^١.

لقد قامت المعجمات لأغراض عملية، ولم تكن تطبيقاً لنظرية لغوية، ويختلف الدافع لظهور المعجمات من مدنية لأخرى. والشائع الصحيح أنه قد انبعثت الصناعة المعجمية العربية في القرن السابع الميلادي لأسباب دينية^٢.

هذه الحقيقة التي تؤكد أن القرآن الكريم، ودراسته، وبيان ما فيه من أصول تشريعية باعتباره دستور الإسلام هو الباعث الحقيقي الذي أسهم في نشأة المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية لخدمة المسلمين من غير أصحاب اللسان العربي، ويزيد ذلك وضوحاً ويؤكد حقيقة أن دراسة القرآن الكريم كانت من دواعي جمع اللغة كما كانت أحد الأسباب التي أسهمت في نشأة المعاجم العربية^٣ عموماً.

وفي هذا يورد ابن خلدون كلاماً مهماً يوضح قيمة اللغة في تحصيل العلوم ولا سيما في جانب أصحاب اللسان غير العربي في فصل عقده في خاتمة المقدمة جعل عنوانه: فصل في أن العجمة إذا سبقت إلى اللسان قصرت بصاحبها في تحصيل العلوم عن أهل اللسان العربي.

^١ انظر: علم اللغة وصناعة المعجم ص.

^٢ انظر: علم اللغة وصناعة المعجم ٤٣ ولولا القرآن ما كانت المعاجم العربية ١٨

^٣ فصول في فقه اللغة ١١١

يقول: "أصبحت العلوم كلها بلغة العرب (لما اتسع ملك الملة الإسلامية) ودواينها المسطرة بخطهم، واحتاج القائمون بالعلوم إلى معرفة الدلالات اللفظية والخطية في لسانهم دون ما سواه من الألسن لدروسها وذهاب العناية بها ... فإذا كان (المتعلم) مقصرا في اللغة العربية ودلالاتها اللفظية والخطية اعتاص (أو صعب) عليه فهم المعاني منها"^١

ثم يقول "والأعجمي المتعلم للعلم في الملة الإسلامية يأخذ العلم بغير لسانه الذي سبق إليه ومن غير خطه الذي يعرف ملكته، فهذا يكون حجابا وهذا عام في جميع أصناف أهل اللسان الأعجمي من الفرس^٢ وغيرهم.

وهذا يؤكد أن المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية في التراث العربي انبثقت لأغراض التواصل مع الأمم الأخرى، وهي هنا الأمة الفارسية، حيث سعت إلى مساعدة أبناء هذه اللغة على التعرف على ثقافة المسلمين وعلومهم المكتوبة بالعربية، ويتضح ذلك من خلال النموذج التالي الذي يذكره الدكتور علي القاسمي في كتابه: علم اللغة وصناعة المعجم، حيث يقول: "وانبثقت القوائم المزدوجة للغة في إنكلترة لسد حاجة تربوية؛ فقد أعد المعلمون تلك القوائم بالكلمات اللاتينية (مداخل) وما يقابلها بالإنكليزية؛ لمساعدة تلامذتهم (الإنجليز) على فهم الكتب المدرسية التي كانت تدون باللاتينية"^٣

^١ مقمة ابن خلدون ١٢٦٢/٣

^٢ مقمة ابن خلدون ١٢٦٣/٣

^٣ علم اللغة وصناعة المعجم ٤

وواضح من هذا النموذج في التجربة الإنجليزية القديمة أنها تؤكد أن المداخل، هي المحدد الأساسي لطبيعة حاجة المتعلم. فلما كان الفارسي في النموذج محل الدراسة هنا يقرأ الإسلام وعلومه بلغة عربية، وهو يريد تمثل الدلالات تمثلاً واضحاً لجأ إلى معجم يشرح له معاني هذه المداخل بلغته الأم؛ لمساعدته على أن يتقدم في تحصيل المفاهيم الإسلامية التي وصلت إليه بلسان العرب، ولمساعدته كذلك في عملية تعلم العربية.

وإذا كانت الطريقة المباشرة في تعليم اللغات¹ تزي في استعمال الترجمة مهما كانت عملاً شائناً، وغير أخلاقي، فإننا نري هذا القول يصب في كفة الهيمنة والتسلط؛ لأنه يقهر الآخرين وهم في حاجة إلى الفهم والاستيعاب والتواصل — على التعلم بلغة ثانية من غير معونة أو مساعدة من لغته الأم في عملية التحصيل.

أضف إلى ذلك أن الإسلام كان حريصاً على إيصال الحكمة؛ لأنه ينظر إليها على أنها ضالة يُبحث عنها في أي مكان، وبأي لغة، وعند أي قوم، ومن ثم حرص على إعانة طالبها، وقد تمثل ذلك وظهر فيما صنعه أصحاب المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية بتأليفهم هذه المعاجم الشاملة.

وقد أدرك هؤلاء المعجميون كما أدرك علم اللغة النفسي أن الاستعمال القويم للترجمة لا يُستغني عنه في تعلم اللغات الأجنبية، لأنه

¹ الطريقة المباشرة the direct approach إحدى أشكال تعلم اللغة وفق الطريقة التركيبية البنوية تقوم على الاعتماد على اللغة الشفوية في تعليم اللغة الثانية والابتعاد عن اللغة الأم أو استخدامها أو ترجمتها في عملية التعلم. انظر: اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها ١٧٤ ونظريات تعلم اللغة الثانية ٢٥ ومعرفة اللغة ٢٠١.

مهما حاولنا إبعاد تأثير اللغة الأم عن تعليم اللغة الأجنبية فإننا لا نفلح، وإذا قبلنا ما لا بد منه فإننا نستطيع استخدام عناصر اللغة القومية التي يمكنها مساعدتنا في تعلم اللغة الأجنبية، ومن هذه العناصر: المفاهيم الموجودة التي تشبه المفاهيم الجديدة^١.

إن الشيء الخطير في تعليم اللغة الأجنبية لا يكمن في استعمال اللغة القومية بل في إساءة استعمالها^٢.

ومن الممكن استخدام الترجمة، ومن ثم استخدام المعاجم الثنائية لغرض التحقق من الفهم ومن أجل إريادة التحقق من فهم مفردات تعاليم الإسلام ألف المعجميون من أصحاب اللسانين العربي والفارسي أو المزوجي اللغة - معاجم ثنائية شاملة كاملة ذات مداخل عربية.

وإن كان سبق هذه المرحلة، مرحلة أخرى اعتنت إلى حد بعيد بالموازنة بين اللغتين العربية والفارسية؛ مما يؤكد أن المعاجم الثنائية العربية الفارسية لم تظهر طفرة، وإنما كان بواندراها أو بواكيرها ماثلة في التأليف المعجمي العربي في مناحٍ شتى، مما يعكس الحاجة الملحة التي فرضتها آليات التواصل الثقافي بين الأمتين صاحبتَي اللسانين المختلفين.

وقد سبق لنا أن لاحظنا أن كثيراً من المعاجم الفقهية التي عنيت بشرح مصطلحات علم الفقه كانت جاءت في أثناء شروحيها للمداخل (=مصطلحات الفقه) بعدد من الشروح بالفارسية رعاية لحالة قارئها ممن يطلبون العلوم الشرعية المكتوبة بالعربية في زمن المد الحضاري

^١ علم اللغة وصناعة المعجم ١٥٧

^٢ علم اللغة وصناعة المعجم ١٥٧

للغة العربية، وكنا سمينا هذه الظاهرة هناك، بتداخل لغات الشرح^١. أو تعدد لغات الشرح، وكنت قلت في سياق الحديث عن طريقة الشرح بالترجمة التي استخدمها بعض أصحاب المعاجم الفقهية الذين عاشوا وألفوا معاجمهم في غير الديار العربية، كالأزهري في الزاهر، وكالمطرزي في المغرب، أو النسفي في طلبة الطلبة، ربما يقال فيه إنهم ملئوا معاجمهم بكثير من الشروح للألفاظ عبر طريقة الترجمة إلى اللغة الفارسية غالباً والتركيب أحياناً مستهدفين تيسير الأمر على طلاب العلم الذين يتكلمون لغة أخرى مع العربية أو بقصد تقريب المعنى إليهم بنقله إلى لغاتهم الأم أو الأصلية^٢.

في مفهوم التواصل الثقافي :

مصطلح التواصل الثقافي متنازع النسبة يستخدمه علم اللغة، كما يستخدمه علم الاجتماع، كما تستخدمه دراسات الحضارة والعلاقات الدولية، والإثنولوجيا / أو علم الثقافة. وقبل تحريره نود أن نذكر أن ظاهرة المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية التي نعالجها في مرحلتها الكاملة هنا تظهر مدى الحضور للغة الأم في استخدام الفارسي (=الأجنبي هنا) وتأثيرها على اللغة الأجنبية التي يتعلمها، ونحن نرى ذلك نوعاً من التداخل الإيجابي = positive interference .

يعين على تعلم اللغة المستهدفة target language وهي العربية في حالتنا هذه، أو قل إن تداخل اللغة الأم الفارسية وحضورها في لغة الشرح يعين على فهم المراد من المداخل العربية التي كتب بها تراث الإسلام.

^١ انظر: تراث المعاجم الفقهية في العربية ١٦٦، ١٧٧، ١٧٧

^٢ انظر: تراث المعاجم الفقهية في العربية ٢٣٤

وما يهمننا هنا هو أن نشير إلى أن ثمة اتجاها كاملا يتبناه عدد من علماء النفس الاجتماعي، وعلم الاجتماع "قصروا دراستهم للاتصال على اللغة، والنتائج الوظيفية له. ويتفق مع هذا الاتجاه تعريف لانديرج، ولارسن، وشراج - عندما ذهبوا إلى أن الاتصال؛ هو نقل المعاني بالرموز إذاً فالفكرة الرئيسية هنا الاشتراك في المعاني"^١.

معنى هذا أن انتقال المعلومات أو الأفكار أو الاتجاهات من جماعة إلى جماعة أخرى من خلال الرموز (= اللغة). وهذا هو التعريف المشتهر للاتصال عند علماء الاجتماع على اعتبار أن التواصل هو أساس كل تفاعل اجتماعي^٢.

ومعنى هذا أيضا أن المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية قامت بدور الرموز الاصطلاحية المتمثلة في صورة اللغة، وهي ما يسمى بالاتصال الرمزي^٣ = symbolic communication

ويسمى الأمريكيون التواصل الثقافي: التتقف من الخارج acculturation على حين يقترح بعض الباحثين ترجمة ذلك المصطلح باكتساب الثقافات الأخرى وتمثلها، والمقصود من هذا المصطلح في أكثر التعريفات المعتمدة هو: "العملية التي يتصل عن طريقها ثقافتان اتصالا وثيقا، ويكون من نتيجة ذلك ازدياد التشابه بين الثقافتين"^٤.

^١ قاموس علم الاجتماع ٧٢

^٢ قاموس مصطلحات الإثنولوجيا ٧١

^٣ قاموس مصطلحات الإثنولوجيا ٧٣

^٤ قاموس مصطلحات الإثنولوجيا ٧٧

ونحن نرى أن التنقف من الخارج كان متبادلا بين الثقافتين؛ أعطت العربية الثقافة الفارسية وجودها الجديد عندما صدرت الإسلام إليها، ومن أجل التفاعل معه، واستثماره نشأت المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية، باعتبارها إحدى الوسائل المساعدة على القبول، وهو مصطلح ثقافي / إثنولوجي يتعلق بأخذ بعض العناصر من ثقافة ما. والقبول في حالتنا هذه acceptance جاء طوعا وتلقائيا وهو ما يسمي بالتنقف من الخارج الموجب؛ لأنه لم يفرض بواسطة الجماعة الفاتحة (= العرب المسلمون الفاتحون). ولم ينظر إليه على أنه كان قبولا عدائيا¹.

على حين أخذت للثقافة العربية بعد توصلها مع للثقافة الفارسية كثيرا من العناصر المرتبطة بالثقافة الإدارية والسياسية وبناء العلوم، وبعض طرائق السلوك المعيشي في المطعم والملبس وأدوات المنزل، والحرف، إلى غير ذلك.

لكننا ننظر هنا في هذه الورقة إلى الثقافة العربية بعد اصطباغها بالإسلام في توصلها مع الثقافة الفارسية على اعتبار أنها الثقافة المانحة، وهو مفهوم متداول في العلاقات الدولية، من هذا الجانب يمكن القول إن العربية أعطت وأسهمت في التغيير الثقافي في بنوية المجتمع الفارسي، ومن ثم إلى أنها هي السبب الأول في نشأة المعاجم الثنائية ذات المداخل للعربية.

وقد ترجم هذا المصطلح في معاجم المصطلحات اللغوية بمترادفات مختلفة من مثل: ثقاف، ومثاقفة، وقد عرفه الدكتور البعلبكي

¹ قاموس مصطلحات الإثنولوجيا ٢٩٤

بأنه "التفاعل اللغوي والثقافي الحاصل بين لغتين متماستين، وما قد ينشأ عن ذلك من اقتراض وثنائية إلخ؛ مثلاً: التفاعل بين العربية والفارسية بُعِيدَ الإسلام"^١

وهذا التمثيل الذي ذكره الدكتور رمزي البعلبكي دليل على اشتهاًر أمر هذا النموذج الذي ندرسه، في قضية التواصل أو التفاعل بين الثقافات.

^١معجم المصطلحات اللغوية للبعلبكي ٢٦

في مفهوم المعجم الثنائي اللغة :

(العربي / الفارسي). Bilingual dictionary.

المعجم الثنائي اللغة هو الذي مداخله أو كلماته المشروحة بلغة،
وشروح هذه المداخل، وإيضاح معانيها بلغة أخرى^١.

ولاشك أن ظهور هذا النوع من المعاجم متأخر في النشأة عن
المعاجم الأحادية اللغة؛ أي التي مداخلها بلغة هي نفس لغة شروح هذه
المداخل، ولاشك أنها أثر من آثار الحاجة الملحة إلى الترجمة، التي هي
أثر من آثار التفاعل بين ثقافتين، وأثر من آثار التواصل الثقافي بين
ثقافتين لغتين هما هنا العربية (لغة المداخل) والفارسية (لغة الشرح).

ومن المهم أن نذكر أن المستخدم الذي ألفت من أجله هذه
المعاجم الثنائية هو المسلم الفارسي لغة، غير العربي، ومن المهم كذلك
أن نؤكد أن المعاجم الثنائية هذه قامت من أجل الوفاء بعدد من الوظائف
تتلخص جميعا في إعانة هذا المستخدم الذي ألفت له، على استيعاب
التراث الإسلامي المكتوب بالعربية، أي أنها معاجم للاستيعاب والفهم،
وليست معاجم للتعبير أو التخاطب (وهو ما يفسر لنا فيما بعد إهمال
المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية إلى حد كبير للضبط والتهجي!).

وهذا الذي نزعمه بدأ من نقطة اختيار لغة المداخل، يقول
الدكتور علي القاسمي: "إن التمييز بين المعجم المخصص للتعبير
والمعجم المخصص للفهم ينعكس في المرحلة الأولى من صناعة
المعجم، وأعنى بها اختيار لغتي المتن والشرح؛ لنفرض أننا نؤلف

^١ معجم المصطلحات اللغوية للبعليكي ٧٢ وانظر: قاموس علم اللغة الحديث ١٩ وكذلك

Adictionary of linguistics and phonetics, p 37.

معجماً إنكليزياً/عربياً للأمريكيين، فإذا كنا نريد منه معجماً للتعبير جعلنا من الإنكليزية لغة متن (مدخل) ومن العربية لغة شرح، في حين أننا إذا قصدنا به وسيلة للفهم اتخذنا من العربية لغة المتن (أو المداخل) ومن الإنكليزية لغة الشرح¹.

وحكمنا على هذه المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية بأنها معاجم فهم واستيعاب؛ لأنها صُنِّفت لمساعدة أبناء الثقافة الفارسية، واللسان الفارسي على فهم ثقافة الإسلام المكتوبة بالعربية، على ما نكرنا من كلام ابن خلدون في مقدمته.

وهذا الذي نقوله تؤكدُه الموسوعة اللغوية التي قام على تحريرها كولنج في المدخل المتعلق بالمعجم الذي عنوانه: (اللغة كلمات: صناعة المعاجم) الذي كتبه كاوي Cowie، وهو أحد المتخصصين في صناعة المعجم في جامعة لينز، حيث يقول: "نلتفت الآن إلى القواميس (المعاجم) الثنائية اللغة المؤلفة من جزئين (يقصد المزدوجة) سيكون من المفيد هنا أن نرسم حداً آخر بين قواميس (معاجم) الفهم أو الاستيعاب؛ أي تلك التي تهدف ببساطة إلى مساعدة قراء كل اللغتين على فهم مفردات اللغة الأخرى. والقواميس (المعاجم) التخاطبية الأكثر طموحاً التي تزودنا بمعلومات للكتابة والترجمة في اللغة الأجنبية في أي الاتجاهين. ومن الصعب أن نجد في الممارسة العملية قواميس (معاجم) تخاطبية صرفة بهذا المعنى. وكما يشرح مالكولم سكي Malcolm sky وهو محرر قاموس إيطالي ثنائي آخر؛ أن هدفه في القسم الإنكليزي/الإيطالي هو = مساعدة المستخدم الإيطالي على الفهم

¹ علم اللغة وصناعة المعجم ٣٨

والتفسير. أما في القسم الإيطالي/الإنجليزي فإنه يسعى لمساعدة المستخدم نفسه في التعبير عن أفكاره في الإنجليزية¹.

وبغض النظر عن حديثه المتعلق بالمعجم المتبادل أو المزدوج

الاتجاه = Bidirectional dictionary

وهو المعجم المكون من قسمين متبادلي اللغة في المداخل والشروح، كأن يكون المعجم عربياً فارسياً، ثم هو بعد فارسي عربي في الوقت نفسه، في مجلد أو كتاب واحد وهو ما لا نتحدث عنه الآن = فإن ما يهمننا هو أنه لما كان المستخدم إيطاليا في نص كاوي Cowie وبدأ مالكولم سكي معجمه الثنائي في القسم الإنجليزي/الإيطالي بمداخل إنجليزية وهي ليست اللغة الأم للمستخدم الإيطالي بطبيعة الحال — حدد أن هدفه هو المساعدة على الفهم والتفسير.

والأمر هنا في المعاجم الثنائية العربية الفارسية، والمستخدم فارسي يشير إلى أن الهدف أو الوظيفة التي توخت هذه المعاجم الوفاء بها هي مساعدة هذا المستخدم الفارسي على الفهم والتفسير والاستيعاب، لما يمكن أن يسمى التراث العربي المكتوب الذي كان يتداول في المجتمعات الفارسية بعد تحوله وانتمائه للإسلام.

إن ملخص المسألة يكمن في النص التالي الذي نبرزه من كلام كاوي عندما يقول: "إن المعاجم الثنائية اللغة تهدف ببساطة إلى مساعدة القراء على الفهم والاستيعاب".

المعاجم الثنائية العربية/الفارسية الشاملة في التراث المعجمي العربي حتى القرن السادس الهجري.

¹ الموسوعة اللغوية (اللغة كلمات: صناعة المعاجم) 3/280

• البدايات الناقصة :

أشرنا من قبل في فقرة سابقة إلى أن كثيرا من المعاجم العربية، ولاسيما في قسم المعاجم المتخصصة في جانبها الفقهي - عرفت ظاهرة سميها بتداخل لغات الشرح، أو تعدد لغات الشرح، وكان الهدف منها مساعدة طلاب العلم أو اللغة الشرعية على فهم الألفاظ، وتقريب تمثيلها، وتصورها، فتشرح له بلغته الأم، تقريبا لأفهامهم، وضبطا لصحة تصوراتهم.

كما عرفت المعاجم العربية الموضوعية هذه للظاهرة منذ وقت مبكر من عمر التأليف المعجمي عند العرب، ويكفي هنا أن نقف أمام نموذجين اثنين يمثلان هذه الظاهرة، قبل التعرض للمعاجم الثنائية العربية الفارسية الشاملة أو الكاملة.

وهذان النموذجان المبكران هما:

- أ - مبادئ اللغة، للإسكافي المتوفى سنة ٤٢١هـ.
- ب- فقه اللغة وسر العربية للثعالبي المتوفى سنة ٤٩٢هـ.

(أ) مبادئ اللغة، للإسكافي المتوفى سنة ٤٢١هـ:

وألفاظ هذا المعجم مرتبة على الموضوعات، وقد كانت لحياة الإسكافي في أصبهان - وهي منطقة لحضور الثقافة الفارسية - أثرها في لغة الشرح في معجمه حيث كان كثيرا ما يشرح بعض المداخل وهي عربية باللغة الفارسية، مع أن معجمه أحادي اللغة في الأساس، أي عربي/عربي.

ومن هنا يتضح لنا إرادته خدمة القارئ الفارسي، وقد لاحظ ذلك آخر ناشر للكتاب، حيث يقول: "ولهذا الكتاب خصائص تميزه، ويكاد ينفرد بها، تتلخص في الإيجاز... وظهر أمر غريب في تفسيره للألفاظ؛ وهو: تفسير اللفظ العربي بمرادفه الفارسي؛ مما يشعرون أنه كان يؤلف كتابه لجماعة تغلب عليها الفارسية إن لم يكونوا فرسا خالصين؛ لذلك راعى الإيجاز، وقلة الشواهد^١."

وقد رتب هذا المعجم ألفاظه وفق الموضوعات بادئا بباب في ذكر السماء والكواكب (٥٢) ثم بباب أسماء البروج والأزمنة والأوقات (٥٨) وباب الليل والنهار (٦٢) وباب صفة الحر والبرد (٦٥) وباب الرياح (٦٧) وباب أسماء الرعد والبرق (٧١) وباب المياه وأوصافها وذكر أماكنها (٧٣) وباب الجبال وما يتصل بها (٨٠) وباب الكسوة (٩٧) وباب البسط والفرش ونحوهما (١٠٥) وباب الحلبي والجواهر (١١٢) وباب الأواني (١١٥) وباب السراج (١٢٠) وباب أحوال النار وذكر أدواتها (١٢٢) وباب الخبز وآلاته (١٢٦) وباب الطبخ (١٢٨) وباب آخر في الطعام (١٣٣) وباب آخر منه (١٣٥) وباب أسام للطبخ تستعملها العرب، ومجاورها (١٣٨) وباب الألبان (١٤٣) وباب الشرب (١٤٥) وباب وصف اليد إذا باشرت ما يعلق بها (١٤٩) وباب آلات البيت (١٥٠) وباب الأدوات (١٥٢) وباب آلات الكتاب (١٥٩) وباب السلاح والجنّة (أي ما يتخذ للحماية من دروع وغيرها) (١٦٣) وباب شوارب من السلاح وما يدخل في بابيه (١٧٩) وكتاب الخيل وأسماء أعضائها وألوانها وشيئاتها وعيوبها وسائر صفاتها (١٨٧) وباب ألوان الخيل (١٩٦) باب الشيات والأوضاع (٢٠٠) وباب البلق (٢٠٣)

^١ مبادئ اللغة (مقدمة المحقق) ٨

وباب التحجيل (٢٠٤) وباب السوابق من الخيل (٢٠٦) وباب وصف
الفحول والإناث وأصواتها في النتاج (٢٠٨) وباب في عيوب الخيل
(٢١٠) وباب العيوب التي تكون خلقة في الخيل (٢١٢) وباب العيوب
الحادثة (٢١٥) وباب وصف قيام الخيل (٢١٧) وباب أصواتها (٢١٨)
وباب مشيها وحضرها (أي جريها) (٢١٩) وباب ما يستحب من خلق
الخيال (٢٢١) وباب الإبل (٢٢٣) وباب البقر (٢٢٥) وباب الماعز
(٢٢٦) وباب السباع (٢٢٩) وباب الأحناش والهوام وما أشبهها (٢٣٥)
وباب ضرور من الحيوان المختلفة ذكرناها بعدما مضت أبوابها (٢٤٣)
وباب الطير (٢٤٥) وباب آخر في النعام ووصف جناح الطائر (٢٥٣)
وباب في المكني والمبني (٢٥٥) وباب أدوات الزرع وأحواله (٢٥٧)
وباب الشجر والنبات (٢٦٣) وباب ضرب من النبات وصغار الشجر
(٢٧٠) وباب البقول ونحوها (٢٧٣) وباب الرياحين (٢٧٥) وباب
أسماء الصنّاعين وأهل الأسواق (٢٧٦) وباب آخر من نحو ذلك (٢٨٠)
وباب في أوصاف العلل وأسمائها (٢٨٣) وباب في نواذر مختلفة.

وقد نقل الإسكافي كثيرا من مادة معجمه من اللغويين السابقين
من مثل: الأصمعي (٢٥٤) وابن الأعرابي (٣٩١) وأبو حاتم
السجستاني (٢٤٦) والخليل (٢٤٦) ويونس (٣٠٠).

وقد صرح في بعض الأحيان بذكر بعض المؤلفات التي اعتمدها
من مثل: كتاب اللغات ليونس، والنواذر لابن الأعرابي.

أما شواهدة فقد استشهد بآيات من القرآن الكريم فيما يقرب من
عشرة مواضع في مثل: ٨٦؛ ٩٥؛ ١٠٥؛ ١١٥؛ ٢٥٨؛ ٢٧٠.

ومثل هذه الشواهد القرآنية جاءت شواهد حديثة في مثل: ٥٢؛

٩٥؛ ١٠٠؛ ١٠١؛ ١٠٩؛ ١٢١؛ ١٣٩؛ ٢٦٦.

كما استشهد بعدد من أبيات الشعر القديم الجاهلي والإسلامي لكثير من الشعراء الذين يحتج بشعرهم من أمثال: ابن أحمـر (١٩١) والأخطل (٢٨٠) والأعشى ميمون بن قيس (١٠٢) ومن الأعشى الأخرين؛ أعشى باهلة وأعشى همدان (١٦٨؛ ٩١) وامرؤ القيس (٩٣) وأمّية بن أبي الصلت (١٢٧) ولؤس بن حجر (١٧٤) وجريـر (٩٠) وحسان بن ثابت (١١٧) وأبي نوار الإيادي (١٥٤) وأبي نؤيب الهذلي (٨٨) وذو الرمة (٨٨) والراعسي النميري (١٥٣) ورؤبة (١٧٢) والشماخ (١٥٢) والشنفرى (١٦٦) وكثير (٢٣٣) وكعب بن زهير (٢٣٨) وليبيد (٨٩) وغيرهم.

كما استشهد بعدد من الأمثال العربية في مثل: (٢٤٧).

ومن الأمثلة الكثيرة على الشروح الفارسية لهذه من المداخل العربية في هذا المعجم التي كتبها مؤلف المعجم خدمة للقارئ الفارسي ما يلي:

- قوله في بيان أسماء أجزاء الباب: "المقـم ما يضم أعلى جانبي الباب وهو اللوح المعروف بينهما، يسمى بالفارسية: كفشيز"^١.
- ومن ذلك قوله: "قيل باب مـضلع، ومخـل، وهو بالفارسية: برسوين"^٢.

^١ مبادئ اللغة ٩٣

^٢ مبادئ اللغة ٩٥

- ومن ذلك أيضا قوله في باب الحيوان: "عناق الأرض: سياق كوش".^١
- ومن ذلك أيضا تفسيره للعجوس وهو ما يفسد المزارع ويخلخل مساد الماء، بالفارسية: وأرسوه".^٢
- ويقول في لزاغ النسي وهو الغراب إنه: كلاج".^٣
- ومن ذلك: "الأحمر من الخيل: للمسد".^٤
- ومن ذلك: "المجنوم: كل بالفارسية".^٥
- ومن ذلك أيضا قوله: "البوه: الأحق؛ بوف بالفارسية".^٦

وهناك أمثلة كثيرة جدًا يمكن معها أن نصنف مبادئ اللغة تحت قسم المعاجم الثنائية العربية الفارسية لناقصة بجوار كونه معجما موضوعيا في المقام الأول.^٧

^١ مبادئ اللغة ٢٣٢ وشتاينجس ٧١٤

^٢ مبادئ اللغة ٢٤١

^٣ مبادئ اللغة ٢٤٨ وشتاينجس ١٠٤٠

^٤ مبادئ اللغة ١٩٨

^٥ مبادئ اللغة ١٢٨٤ ٤٨٨

^٦ مبادئ اللغة ٢٤٨ وشتاينجس ٢٠٧

^٧ انظر: مبادئ اللغة (الرخمة - همام) ٢٤٧ و (الزرافة - اشتركلينك) ٢٤٨ و (الكرون - بزافيه)

٢٥٠ و (الجريد - الجوخان) ٢٥٩ و (الخلفة، نوع من المشب - فركلو) ٢٦١ و (القطب - ترم)

٢٦٢ و (الغرب، شجرة - بذيه) ٢٢ و (الخيل - خيلوالنك) ٢٧٣ و (المصفا - ويداستر)

٢٦٧ و (المداد - وهنك) ٢٨١ و (الكمام) ٢٧٥

ونظر كذلك: ٢٤٦، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٨.

(ب) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ :

فقه اللغة وسر العربية معجم من المعاجم الموضوعية المختصرة المستوعبة، ومؤلفه أبو منصور الثعالبي عاش طيلة حياته تقريباً في نيسابور، وهي إحدى الحواضر الفارسية.

وقد ذكر في معجمه هذا أنه كان يحاضر في اللغات يقول: "فصل فيما حاضرت به مما نسبه بعض الأئمة إلى اللغة الرومية".^١

وقد أفرد الثعالبي الباب التاسع والعشرين للحديث عن الموازنة بين العربية والفارسية، في مجال الثروة اللفظية، أو المعجم، فيما يمكن أن يسمى ببواكير المنهج التقابلي في الدرس المعجمي في التراث العربي.

وفي هذا الباب برزت فكرة التنقف من الخارج الموجب أو التواصل الثقافي غير العدائي؛ حيث استطاعت العربية أن تؤثر في الفارسية على الأقل في مجال الألفاظ أو المعجم، وهو محور هذا البحث.

كما استطاعت الفارسية أن تؤثر في العربية في المجال نفسه، عبر فترات زمنية ممتدة.

وقد جاء هذا الباب في خمسة فصول كما يلي:

فصل في سياقة أسماء فارسياتها منسية وعربيها محكية مستعملة . ٥٢٢/٢

^١ فقه اللغة وسر العربية ٥٣٠/٢

١- فصل يناسبه في أسماء عربية يتعذر وجود فارسية أكثرها
٥٢٤/٢ .

٢- فصل في ذكر أسماء قائمة في لغتي العرب والفرس علي لفظ
واحد ٥٢٥/٢ .

٣- فصل في سياقة أسماء تفردت بها الفرس نون العرب
فاضطرت العرب إلى تعريبها أو تركها كما هي ٥٢٦ / ٢

٤- فصل فيما حاضرت به مما نسبه بعض الأئمة إلي اللغة
الرومية ٥٣٠ / ٢

ومن استعراض عنوانات هذه الفصول نلاحظ أن الفارسية سبقت
وأثرت في المعجم العربي بالنظر إلى الوزن الحضاري للأمة الفارسية
قبل الإسلام أو في الجاهلية، وهذا الذي نقوله هو ترجمة الجملة الخطيرة
التي قالها الثعالبي في عنوان الفصل الرابع من هذا الباب الذي عقده
للموازنة بين العربية والفارسية، حيث قال: "فصل في سياقة أسماء
تفردت بها الفرس نون العرب فاضطرت العرب إلى تعريبها، أو تركها
كما هي".

فجملة "اضطرت العرب إلى تعريبها أو تركها كما هي" تعكس
مدي الحاجة التي ألجأت العرب إلى نقل الألفاظ الفارسية إلى المعجم
العربي.

ومراجعة مجموعات قوائم الألفاظ التي نقلها العرب من اللسان
الفارسي تظهر لنا أنها ألفاظ حضارية، مما يغطي جوانب الحياة
الإنسانية المختلفة.

وإذا نظرنا إلى الحضارة على أنها الشكل الخارجي، أو المادي للثقافة أو الفكر، أو على أنها التطبيق التقني للأفكار^١ - فسوف نلاحظ أن الألفاظ التي نقلها العرب من الفرس تتوزع على كثير من جوانب الحياة في صورها الحضارية من مثل:

- ألفاظ الأواني : (٥٢٦/٢) كالكوز، والإبريق، والطست،
والخوان، والطبق .
- وألفاظ الملابس : (٥٢٦/٢) كالسمّور (جبة سوداء من وبر)،
والقائم (الغراء)، والديباج .
- وألفاظ الحليّ والجواهر : (٥٢٧/٢) كالباقوت، والفيروزج .
- وألفاظ الأطعمة : من الخبز والطبيخ والحلوات والأشربة
والأفاويه والتوابل .
- وألفاظ الزهور والرياحين : (٥٢٩/٢) كالنرجس، والبنفسج والنسرين،
ولسوسن والياسمين، والجلنار .
- وألفاظ الطيب والعطور : (٥٢٩/٢) كالمسك، والعنبر، والكافور،
والصندل .

وهذه القوائم من الألفاظ المنتمية للمجالات الحضارية الشاملة للحياة الإنسانية التي نقلها العرب من الفرس، نظرا للوضع الحضاري المتفوق للحضارة الفارسية في هذه الحقبة التاريخية القديمة، تعكس التفات الثعالبي المبكر إلى أثر ظاهرة التواصل الثقافي، أو التقفّف الموجب من الخارج، وأن التفوق الحضاري هو العامل المؤثر فيه.

^١ قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفلكلور ١٧٩ والحضارة ٥٦

ويؤكد ذلك أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة عندما أخرج معجم

ألفاظ الحضارة الحديثة ضمنه ما يلي:

- أ- ألفاظ الثياب، وما يتعلق بها (٣)
- ب- ألفاظ المأكولات (١١)
- ج- ألفاظ المنزل والأثاث المنزلية (١٥)
- د- ألفاظ الأماكن، وما يتعلق بها (٣٣)
- هـ- ألفاظ المكتب، وأدواته (٣٩)
- و- ألفاظ المركبات والعربات، وما يتعلق بها (٤٥)
- ز- ألفاظ الحرف والصناعات، والمواد المستخدمة فيها (٥١)

إلى غير ذلك من ألفاظ الحضارة الحديثة.

وقد ذابت الحضارة الفارسية في حضارة الإسلام، وتلاشت فيها في مرحلة تالية لظهور الإسلام، وهو ما يسميه الدكتور حسين مؤنس بتوارث الحضارات. أما التأثير العربي في الثقافة الفارسية فنشأ بعد نزول القرآن الكريم واستقرار حضارة الإسلام، فمن هذا التاريخ بدأ هذا الدور المؤثر للسان العربي كمظهر من مظاهر التنقيف الموجب من الخارج الذي قام بعينه اللسان العربي على اعتبار أن اللغة هي أداة التواصل الثقافي.

وقد انتبه الثعالبي إلى هذا البعد مثلما انتبه في عبارته السابقة التي لخص فيها ما يمكن أن نسميه قانون الاضطراب الحضاري الذي حمل العرب على نقل أجزاء من ثقافة الفرس في بعض الجوانب الحضارية.

يقول الثعالبي في الفصل الثاني من الباب نفسه: "فصل في أسماء يتعذر وجود فارسية أكثرها".

وبتأمل هذه الألفاظ نجد أنها من ألفاظ الشرع التي اصطلح على تسميتها، بالألفاظ الإسلامية؛ من مثل: الزكاة، والحج، والمسلم، والمؤمن، والكافر، والمنافق، والفاسق، والإمامة، والتيمم، والمتعة، والطلاق، والظهار، والإيلاء، والقبلة¹.

وقد كان الثعالبي في الفصل الأول من هذا الباب نفسه الذي عنوانه: "فصل في سياقة أسماء فارسيها منسية وعربيها محكية مستعملة" استشعر أن ثمة ألفاظ لها خصوصية؛ من كونها مرتبطة بالثقافة الإسلامية، المنبثقة من عقيدته وشرائعه؛ من مثل: الحلال، والحرام، والبركة، والوسوسة، والنصيحة.

وهي ألفاظ، وإن كانت عامة يمكن أن تتوارد معانيها في اللغات المختلفة بحكم درجات الترقى الأخلاقي والاجتماعي في المجتمعات المختلفة إلا أنها صارت الصق بالخطاب الأخلاقي والاجتماعي عند المسلمين من دون غيرهم.

وبقيت هذه الألفاظ، واستمرت في عمق الثقافة الفارسية ومعجمها الذي اصطبغ بالإسلام في مرحلة من مراحل استثمار التواصل الثقافي.

ومن هنا لا يتصور أحد تلاشيها؛ لأنها بنت ثقافة هي الإسلام، والأساس الذي قامت عليه هو: "العقيدة وهي لا تزال تتجدد، وتتعاقب على حمل رايته الأجيال، وأداتها هي اللغة العربية؛ لغة القرآن،

¹ فقه اللغة وسر العربية ٢/٥٢٤

وبفضله عاشت، وقدر لها أن تتجو من الضياع، وبفضل الإسلام والعربية ظلت حضارة الإسلام حية، لأن العقيدة لا تبلي مادام هناك من يؤمنون بها، وما دامت العقيدة حية في عالم الإسلام، واللغة العربية حية؛ أي أن عنصرَي الحضارة الإسلامية الأساسيين باقيان¹.

مرحلة المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية الشاملة :

عرف التاريخ المعجمي ظاهرة المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية، بهدف خدمة ثقافة الإسلام المكتوبة، وإعانة المستخدمين المسلمين من غير العرب لغةً على فهم هذه الثقافة، واستيعاب مفرداتها.

وقد ظهرت في شكلين هما:

الأول : المعاجم الثنائية غير الشاملة ذات المداخل العربية، أي تلك التي اهتمت بجانب محدد من الألفاظ اللغوية، جمعتها، وربّتها وشرحتها.

الثاني: المعاجم الثنائية الشاملة ذات المداخل العربية، وهي المعاجم التي جمعت الألفاظ اللغوية في جوانب الحياة المختلفة التي تمثلها اللغة وربّتها وشرحتها بالفارسية.

وسنقف في هذا البحث عند المعاجم الثنائية الشاملة؛ لأنها أصدق في تمثيل ظاهرة التنقف من الخارج الموجب الذي مارسته الثقافة الإسلامية؛ ولأنها كذلك لم تقف عند حدود هدف إعانة الفارسي المسلم على تعلم اللغة العربية، كما استهدفت المعاجم الثنائية غير الشاملة ذات المداخل العربية.

¹ الحضارة للكتور حسين مؤنس ٢٨١

وإنما خرجت واستهدفت تحقيق أهداف أكبر من ذلك يمكن إجمالها في هدف إعانة مستخدمها على فهم الثقافة الإسلامية، واستيعابها فيما هو مدون مقروء.

ويندرج تحت هذا القسم معجمان ثنائيان شاملان ذوا مداخل عربية

هما:

١- السامي في الأسامي، للميداني ٥٣١ هـ.

٢- مقدمة الأدب، للزمخشري ٥٣٨ هـ.

والاكتفاء بهذين المعجمين له ما يبرره من وجهة نظر البحث؛ إذ يرى البحث أن يتوقف عند حدود نهاية القرن السابع الهجري، أو على وجه التحديد على أعتاب الاجتياح المغولي أو التتاري لديار المسلمين الذي أدى إلى اجتياح بغداد وسقوطها، السقوط المروع، وهي يومئذ عاصمة الخلافة الإسلامية وذلك سنة ٦٥٦ هـ، لأن الثقافة العربية أشغلت بعد هذا التاريخ بما يمكن أن يسمى:

بالتجميع والمقاومة، وعانى اللسان العربي من أزمات خانقة إلى

اليوم.

(١) السامي في الأسامي، للميداني المتوفى سنة ٥٣١ هـ:

كتاب السامي في الأسامي، للميداني النيسابوري^١، أحمد بن محمد أبي الفضل - معجم ثنائي نو مداخل عربية وقد نشره الدكتور محمد موسى هنداوي الذي كان أستاذا للغات الشرقية بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٦٧م.

^١ انظر: بلدان الخلافة الشرقية ٤٢٤

وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْمَعْجَمُ فِي أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ، كَمَا يَلِي:

القسم الأول، في خمسة أبواب:

١- في الأسماء المطلقة على الله تعالى وعلى غيره (وفيه

فصلان) ١٥

٢- في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وغيره، (وفيه ثلاثة

فصول) ٢٣

٣- في الكتب المنزلة وما يناسبها (وفيه فصلان) ٢٧

٤- في شرائع الإسلام (وفيه تسعة فصول) ٢٧

٥- في سائر الأديان (وفيه أربعة فصول) ٤٣

القسم الثاني، في الحيوانات، سبعة وعشرون باباً:

١- فيما لا يد من معرفته ٤٩

٢- في أصناف الحيوان، (وفيه أربعة فصول) ٤١

٣- في ترتيب التركيب، (وفيه خمسة فصول) ٥٧

٤- في ذكر الأعضاء، (وفيه خمسة فصول) ٦٧

٥- في الصفات، (وفيه ستة فصول) ١١١

٦- في صفات النساء خاصة (وفيه فصول) ١٢٣

٧- فيما يلبس ويفرش، (وفيه سبعة فصول) ١٣٠

٨- في الصناعات وأدواتهم وما يحتاجون إليه (وفيه أربعة وعشرون

فصلاً) ١٤٤

٩- في المصاهرات والقرايات وما يناسبها (وفيه تسعة

فصول) ١٨٤

١٠- في الأطعمة، (وفيه خمسة فصول) ١٩٩

- ١١- في الأمتعة (وفيه فصلان) ٢٠٦
- ١٢- في الأدواء والأمراض (وفيه أربعة فصول) ٢١٤
- ١٣- في الخيل والأسلحة (وفيه أربعة عشر فصلا) ٢٢١
- ١٤- في نكر الإبل (وفيه اثنا عشر فصلا) ٢٤٥
- ١٥- في البقر الوحشية والأهلية. (وفيه ثلاثة فصول) ٢٦٥
- ١٦- في الحمر الوحشية والأهلية (وفيه فصلان) ٢٦٩
- ١٧- في نكر الغنم (وفيه أربعة فصول) ٢٧٢
- ١٨- في نكر السباع (وفيه فصلان) ٢٧٩
- ١٩- في نكر الحشرات والهوام (وفيه أربعة فصول) ٢٨٣
- ٢٠- في نكر الطير (وفيه ثلاثة فصول) ٢٩١
- ٢١- في نكر الأصوات (وفيه ثلاثة فصول) ٢٩٧
- ٢٢- في نكر الموازين والحساب (وفيه ثلاثة فصول) ٣٠٢
- ٢٣- في الكنى (وفيه ستة فصول) ٣٠٧
- ٢٤- فيما جاء مثني من الأسماء ٣١٣
- ٢٥- في الإتياع والمزاوجة ٣١٤
- ٢٦- فيما اتفق لفظه واختلف معناه ٣٢١
- ٢٧- في المفردات (وفيه أربعة فصول) ٣٢٨

(وهذه الأربعة الأبواب الأخيرة خرجت عن شرط المعجم الثنائي حيث جاءت أحادية؛ بمعنى أن لغة المداخل كانت هي العربية، ولغة الشرح كانت هي العربية كذلك) .

القسم الثالث - في الآثار العلوية، وفيه خمسة أبواب :

- ١- في نكر الهواء وما يعرض منه (وفيه فصلان) ٣٣٧
- ٢- في السحاب وما يكون فيه (وفيه أربعة فصول) ٣٤٠

٣- في نكر السماء والنجوم (وفيه تسعة فصول) ٣٤٤

٤- في نكر الأوقات، (وفيه أربعة فصول) ٣٥٢

٥- في نكر الشهور والسنين (وفيه تسعة فصول) ٣٥٨

القسم الرابع = في الأثار السطحية وتوابعها، وفيه ستة أبواب:

١- في نكر الأرض وصفاتها، (وفيه خمسة فصول) ٣٦٧

٢- في الجبال (وفيه أربعة فصول) ٣٧٣

٣- في نكر المياه وما يتصل بها (وفيه ثمانية فصول) ٣٧٩

٤- في النباتات وما يضاف إليه (وفيه ثمانية فصول) ٣٩٠

٥- في الأشجار المثمرة وغير المثمرة (وفيه تسعة فصول) ٤٠٢

٦- في الأمكنة والأبنية (وفيه تسعة فصول) ٤١١

وقد كان الميداني افتتح معجمه بمقدمة بيّن فيها بعض هدفه من المعجم، وبيّن أقسامه، مفسراً تخليّة معجمه وتفرّيقه من الشواهد، بطلب الاختصار، وصغر حجم الكتاب، يقول: 'وأعرضت عن الاستشهاد بالأشعار المشهورة، واقتصرتُ على نكر اللغة المأثورة وتركت الجموع الجارية على سنن القياس؛ ليصغر حجمه في أعين الناس'^١.

وقد نكر في مقّمة معجمه هذا بعضاً مما يجب أن يَنكر في مقّمات المعاجم مما ينص عليه علماء صناعة المعجم، حيث صنع فصلاً للجموع القياسية، حتى يوفر على نفسه ذكرها في المواضع التي تتطلب نكر جموع الألفاظ، وهذا وعي طيب بطبيعة الصناعة المعجمية، وامتداد لما عليه الأمر في التأليف المعجمي الأحادي عند العرب.

^١ السلي في الأسلي (المقّمة) ٥

ومراجعة فهرس الأقسام والأبواب، وما فيه من ابتداء بقسم الشرعيات، وما يناسبها يدل على أن الهدف أو الوظيفة الأساسية التي توخاها هذا المعجم هي إعانة المسلم الفارسي على فهم نصوص الشريعة، واستيعابها في المقام الأول.

فقد تضمن القسم الأول، وهو قسم الشرعيات، وما يناسبها

على الأبواب التالية:

١- في الأسماء المطلقة على الله تعالى، ومن أمثلة ما جاء فيه:

ص ١٥ " (الله والإله): خذاي سزائي برسشش". - وهي عند شتاينجس (٤٥٠) وقد ترجمها إلى الإنجليزية بكلمة: god = (الله).

ص ١٥ " (الرحمن): بخشاينده". - وهي عند شتاينجس (١٥٩) وقد ترجمها إلى الإنجليزية بكلمة: merciful = (الرحمن).

ص ١٥ " (الطاهر): پاك". - وهي عند شتاينجس (٢٣١) وقد ترجمها إلى الإنجليزية بكلمة: pure = (الطاهر / النقي).

ص ١٧ " (العليم والعالم والعلّم): دانان". - وهي عند شتاينجس (٥٠٠) وقد ترجمها إلى الإنجليزية بكلمة: learned, the name of God.

ص ١٩ " (الحميد والمحمود): ستوزه". - وهي عند شتاينجس بالدال situda وقد ترجمها إلى الإنجليزية بكلمة: to glorify God.

ص ٣١ " (الفرد والوتر): يكّانه". - وهي عند شتاينجس (١٥٨٤) وقد ترجمها إلى الإنجليزية بكلمة: one = (الواحد).

٢- في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وغيره. ومن أمثلة ما جاء من ذلك:

ص ٢٣ " (الرسالة): بيفام". - وهي عند شتاينجس (٢٦٨) وقد ترجمها إلى الإنجليزية بكلمة: a message = (الرسالة).

ص ٢٣ " (الندارة): بيم". - وهي عند شتاينجس (٢٢٤) وقد ترجمها إلى الإنجليزية بكلمة: fear = (الخوف والرهبه أو التخوف).

٣- في كتب الله المنزلة وما يناسبها.

٤- في شواذع الإسلام.

وقد تحدث في فصول هذا الباب عن ألفاظ الإيمان والإسلام والصلاة والصيام والحج والجهاد، كما تحدث عن سائر ألفاظ الملل الأخرى من نصرانية، ويهودية، وكفر، وأصنام.

وقد عرضت في بعض ما نقلته من ألفاظ هذا القسم الخاص بالألفاظ الشرعية - الألفاظ الفارسية التي جاءت عند الميداني بما جاء في معجم شتاينجس للثنائي الفارسي الإنجليزي، لنؤكد بروز الهدف الذي من أجله ألف هذا المعجم الثنائي ذي المداخل العربية المتمثل في خدمة هدف محدد هو فهم الإسلام، واستيعاب أصوله وتشريعاته.

ولنؤكد كذلك أن الميداني توخى استخدام الفارسية الأدبية (الفصحى) في شروح المداخل، والابتعاد عن اللهجات ليتأكد أن الهدف ليس هو المساعدة على التعبير أو المخاطبة، وإنما القصد مساعدة غير العربي على فهم دلالات الألفاظ العربية وتصورها عندما تعرض له في أثناء تعلمه للإسلام، وقرأته نصوصه المكتوبة.

وقد ظهر في خاتمة هذا المعجم في الفصل الذي جعله الميداني ملحقاً له - الهدف من صناعة هذا المعجم الثنائي يقول: "وقد جمعت في كتابي هذا بعض ما يدعو إليه من الحاجة، وصننت ترجمته ما استطعت عن وصمة البشاعة والسماجة، وبسطت الكلام فيه على صغر حجمه ورجعت أن يهتدى للتعلم بضوء نجمه"^١.

فرجاء الاهتداء بهذا المعجم إلى عملية التعلم هو ما ألحنا عليه في بيان قيمة المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية وهذا أول نموذج لها في عملية التنقّف من الخارج الموجب غير العدائي التي أحدثتها العربية في الثقافة الفارسية في مرحلة المد الحضاري للثقافة الإسلامية، التي حملت لواءها اللغة العربية.

(٢) مقدمة الأيب، للزمخشري المتوفى سنة ٥٢٨ هـ:

هذا معجم ثنائي نو مداخل عربية كذلك، ألفه الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي المتوفى سنة ٥٢٨ هـ وقد حقق هذا المعجم جزءاً من متطلبات درجة الماجستير الأستاذ محمد فوزي علي بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٩٨م، وخولزم قرية كبيرة من حواضر اللسان الفارسي^٢.

وعرض له بالدراسة المعجمية الدكتور أحمد مختار عمر باعتباره استخدم منهج الأبنية في بعض الأقسام في كتابه: معاجم الأبنية في اللغة العربية^٣، ولم يلتفت إلى أنه معجم ثنائي، ولم يشر إلى ذلك، مع

^١ السامي في الأسامي ٤٢٤

^٢ انظر: بلدان الخلافة الشرقية ٤٨٩

^٣ انظر: معاجم الأبنية في اللغة العربية ١٩٥

أنه عرف تاج المصادر لأبي جعفر أحمد بن علي المقرئ البيهقي، المعروف ببو جعفر^١.

كما لم يلتفت الدكتور حسن نصار إلى ذلك في أثناء حديثه عنه في دراسته الرائدة: المعجم العربي تاريخه وتطوره ولم يشر أيضا إلى ذلك^٢.

وقد حصر المحقق هدف الزمخشري من تأليفه هذا المعجم في الهدف التعليمي للغة فقط، وهو ما لا نوافق عليه إلا من باب واسع باعتبار خدمة القارئ المسلم الفارسي على تمثيل دلالات ما يقرؤه في رحلة طلبه فهم تعاليم الإسلام هدفا تعليميا عاما؛ لأننا قلنا إن هدف المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية يكمن في تقديم المساعدة للمستخدم ذي اللسان غير العربي على الفهم والاستيعاب؛ ومن أجل ذلك أيضا لا نوافق من ينقد الزمخشري في مسألة "عدم التنبه على ضبط حروف الألفاظ، وما فيها من إهمال وإعجام، أو تخفيف وتشديد"^٣؛ لأن هدف المؤلف ليس خدمة المستخدم الفارسي المشغول بقضية التعبير والمحادثة، ولو أراد ذلك لجعل مداخل معجمه بالفارسية، ولغة شرحه لهذه المداخل بالعربية!

ومن المهم كذلك أن نقف قليلا أمام كلمة الأديب التي وردت في عنوان معجم الزمخشري، ونلته على أنه لا يصح حملها على المعنى الخاص للأديب المعهود للناس اليوم وإنما ينبغي حملها على المعنى

^١ انظر: معاجم الأبنية العربية ١٨٥

^٢ انظر: المعجم العربي تاريخه وتطوره ١٦٣

^٣ مقامة الأديب، للزمخشري ٣٧/١

الواسع الذي يشمل جوانب الثقافة المختلفة اللازم تحصيلها، أو على حد التعبير القديم الذي يرى فيه الأخذ من كل فن بطرف^١.

وبهذه النظرة إلى مفهوم هذا المصطلح يمكن أن نفهم هذه الأقسام التي ضمها هذا المعجم الثنائي، وكأنه بمعجمه هذا أن يكون مقدمة للثقافة العربية التي ينبغي للمسلم الفارسي أن يحصلها؛ ليتواصل مع الكتابات العربية.

وقد جاء المعجم في خمسة أقسام كما يلي:

١- قسم الأسماء، وفيه:

باب للأوقات، وباب للعلويات، وباب للسفليات، وباب للمعادن والأحجار الكريمة، وباب للطرق، وباب للمياه، وباب للنبات والزرع، (وجاء تحته: فصل للزهور والرياحين، وفصل للبقول والخضر، وفصل للكلاً والحشيش) وباب للضئاع (وتحته فصول: فصل للعقار، وفصل للحديقة) وباب للمدن والأماكن (وتحته فصول: فصل للمدن والقري، وفصل للخطط والأبنية) وباب للبيت وأثاثه، وباب لبيوت العرب؛ من خيم وأخبية، وباب لأسماء الكائنات، من البشر والملائكة، وباب لخلق الإنسان (وتحته فصول: فصل للجسد الأسمى، وفصل لأعضائه، وفصل لصفات الأعضاء، وفصل لأسنان الإنسان وأعمارهم، وفصل لأسماء الأوصاف والطبائع، وفصل لأوصاف المرأة) وباب لعلاقات الإنسان (وفيه فصول: فصل للأقارب، وفصل للصديق، وفصل لأصناف الناس، وفصل لمراتب الناس).

٢- قسم الأفعال.

^١ نظر: دائرة المعارف الإسلامية (أب) ٢/٤٧٠

٢- تسم الحروف.

٤- تسم تصريف الأسماء.

٥- تسم تصريف الأفعال.

وقد اهتم في هذين القسمين الأخيرين بعدد من المسائل النحوية والصرفية، وقد سار للزمخشري فيه على أنظمة مختلفة فهو: "في قسم الأسماء لم يتبع نظام الأبنية، ولا أي نظام آخر وإنما سلك سبيل المعاجم المرتبة وفق الموضوعات فقسمه أبواباً، جمع تحت كل باب منها الكلمات التي تدور حول موضوع واحد، وبدأه بباب جمع فيه الألفاظ للدالة على الأزمنة ثم بيان ما يتعلق بالسموات، وصفاتها، وما فيها، ثم بباب في الأرض، وما فيها من معادن وأحجار".^١

"ولم يكن له منهج في ذكر الكلمات، بل كان يوردها اعتباراً دون ضابط أو نظام"^٢ أما في قسم الأفعال فقد اتبع فيه نظام الأبنية.

وهذا الخلط أو الجمع بين أمور معجمية، ونحوية وصرفية يؤكد ما قلناه من إرادة خدمة المتقف المسلم ذي اللسان الفارسي في عملية التواصل الثقافي مع الثقافة المكتوبة بالعربية، الأمر الذي بدأ واضحاً في عنوان هذا المعجم؛ مقدمة الأدب على الشرط الذي بيناه في مفهوم مصطلح الأدب، الذي يمكن اعتباره مرادفاً لمصطلح الثقافة في بعض فترات الفكر العربي القديم.

وهذا المعجم الثنائي استخدم في شرح المداخل العربية للغة الفارسية الأدبية أو الفصحى في الغالب.

^١ معجم الأبنية في اللغة العربية ١٩٦

^٢ معجم الأبنية في اللغة العربية ١٩٦

ويمكن تأكيد ذلك بمقارنة عدد من المواد اللغوية الواردة في
مقدمة الأدب بما ورد عند شتاينجس في معجمه الفارسي الإنجليزي :

شتاينجس	مقدمة الأدب
رأس = سر = ٦٤٤ (رأس) head = سر .	٨٦/١
بكر / أبكار = دوشيزه = ٥٤٥ (عزراء) virgin = دوشيزه .	١٠٤/١
نمة / نم = زنهاري = ٦٢٧ (من يدخل في عهد = one how see seeks protection = لحمائته) زنهاري .	١١٣/١

وبذلك يتأكد لنا أيضا بهذا الصنيع لِرادة الِزمخشري خدمة
القارئ الفارسي للكتابات العربية، وإعانتة على فهم ما يقرؤه واستيعابه.

فهرس مراجع البحث

(أ)

- إعراب القرآن، للنحاس، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، سنة ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م.

(ب)

- بلدان الخلافة الشرقية، لكي لسترنج، ترجمة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

(ت)

- تاريخ التربية الإسلامية، للدكتور أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، سنة ١٩٧٣م.
- تراث المعاجم الفقهية في العربية، للدكتور خالد فهمي، مكتبة إيتراك، القاهرة، سنة ٢٠٠٣م.

(ث)

- الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، للدكتور حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة ع (٢٣٧)، الكويت، سنة ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

(هـ)

- دائرة المعارف الإسلامية، لهوتسما، وآخرين ترجمة إبراهيم زكي خورشيد وآخرين، دار الشعب، القاهرة، سنة ١٩٦٩م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، سنة ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

(و)

- رحلتي الفكرية، للدكتور عبد الوهاب المسيري، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سنة ٢٠٠٢م.

(ز)

- السامي في الأسامي، للميداني، تحقيق الدكتور محمد موسى هنداوي، القاهرة، سنة ١٩٦٧م.

(ح)

- علم اللغة وصناعة المعجم، للدكتور علي القاسمي، جامعة الملك سعود، الرياض، سنة ١٤١١هـ = ١٩٩١م.

(ط)

- فصول في فقه العربية، للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م.

- فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، تحقيق الدكتور خالد فهمي، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(ق)

- قاموس علم الاجتماع، للدكتور محمد عاطف غيث، دار المعرفة الجامعية، بالإسكندرية، سنة ١٩٩٨م.
- قاموس علم اللغة الحديث، للدكتور محمد نجيب عارف، المكتبة القومية الحديثة، طنطا، سنة ١٩٩٥م.
- قاموس مصطلحات الأنتولوجيا والفلكلور، لإيكة هولتكرايس، ترجمة الدكتور محمد الجوهري والدكتور حسن الشامي، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سنة ١٩٩٩م.

(ل)

- اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، للدكتور نايف خرما والدكتور علي حجاج، سلسلة عالم المعرفة ع (١٢٦) ، الكويت، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م.
- لولا القرآن ما كانت المعاجم العربية، للدكتور خالد فهمي، مجلة الرسالة ع (٤)، القاهرة سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(هـ)

- مبادئ اللغة، للإسكافي، تحقيق الدكتور عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، القاهرة، سنة ٢٠٠٠م.

- معاجم الأبنية في اللغة العربية، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون، لمجمع اللغة العربية، القاهرة، سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- المعجم العربي تاريخه وتطوره، للدكتور حسين نصار، مكتبة مصر، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- معجم المصطلحات اللغوية، للدكتور رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٩٠م.
- معرفة اللغة، لجورج بول، ترجمة الدكتور محمد عبد الحافظ، الإسكندرية، سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- المقدمة، لابن خلدون، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد واقفي، دار نهضة مصر، القاهرة، سنة ١٩٧٩ - ١٩٨١م.
- الموسوعة اللغوية، لكونج، ترجمة الدكتور محيي الدين حميدي والدكتور عبد الله الحميدان، جامعة الملك سعود، الرياض، سنة ١٤٢١هـ.

(ق)

- نظريات تعلم اللغة الثانية، للدكتور باري ماكلانن، ترجمة الدكتور عبد الرحمن عبد العزيز العبدان، دار عالم الكتب، الرياض، سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- **A comprehensive Persian - English dictionary, by F. Steingass, Beirut, 1975.**
- **A dictionary of linguistics and phonetics, by David Crystal, London, 1972.**



الدراسة الخامسة :

سَفَرُ الجغرافيا

أثر إرادة الإقليم في انتقال الألفاظ

الإسلامية إلى المعاجم الأجنبية

سَفَرُ الجغرافيا
أثر إرادة الإقليم
فى انتقال الألفاظ الإسلامية العربية إلى اللغات
الأجنبية ((المعجم الطارسي نموذجاً))

لا يريد هذا البحث وليس من هدفه أن يدخل فى الجدل الذى يثور أحيانا، ويخفت فى أحيان أخرى حول قضية الإلهمية فى الأدب.

وليس من هدفه أن يظاهر فريقا ضد فريق من المعادين أو المؤيدين المساندين لفكرة استقلال كل إقليم ببعض السمات النفسية التى تطبع أدابه، وطرائقه فى التعبير عن غيره من الأقاليم الأخرى وإن شاركته الدين واللغة والتاريخ .

وهذا البحث يرمى إلى شئ آخر خروجاً من هذا الجدل، وهو أن لكل إقليم بينته الطبيعية والمعنوية التى تسهم فى تشكيل لغته، وأن واحداً من أسباب نمو الثروة اللفظية، راجع إلى طبيعة البيئة، وما تسمم به سكانها من سمات وخصائص، وملامح نجد صداها فى الألفاظ هؤلاء السكان المنتمين إلى هذه البيئة أو تلك .

كما ترمى هذه الورقة إلى الإعلاء من قيمة استفتاء إرادة الإقليم أو خصوصية المكان فى واحد من أهم مباحث الدراسات اللغوية، وهو مبحث التعريب، ولا سيما فى باب معرفة أصل الألفاظ الوافدة أو المخيلة فى لغتنا، من أى لغة وردت ويكون تحكم هذا المبدأ المكاني خطوة فى حسم ذلك الخلاف الذى امتلأت به مكتبة تراث المعرّبت فى

التراث اللغوي العربي حول عدد كبير من الألفاظ متنازعة النسبة إلى عدد غير قليل من اللغات، أو عدد من الألفاظ مسكوت عن نسبتها مع الإقرار بكونها نخيلة أو معربة .

ويمكننا عن طريق هذا المبدأ؛ مبدأ تحكيم إرادة الإقليم - أن نقرر أن الألفاظ التالية من مثل : الأبنوس، والأرز، والزنجبيل، والمندلى، والموز، والهيل = هندية الأصل، وذلك اعتماداً على الجغرافية الزراعية والاقتصادية التي تقول إن هذه البضائع أو المنتجات كانت من موارء جزيرة العرب من شبه الجزيرة الهندية عن طريق عمان .

(انظر : تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية للدكتور شوقي عثمان، عالم المعرفة، الكويت ع ١٥١ لسنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ص ٢٠٥) وانظر : الألفاظ الهندية المعربة ص ١٣٦ وما بعدها .

ومن هنا نستطيع أن نقرر أن دراسة إرادة الإقليم أو خصوصية المكان أصبح أمراً لازماً في مجال الدراسات اللغوية المتعلقة بقضايا التعريب، وقضايا الثروة اللفظية أو قضايا المعجم بوجه خاص .

وإذا كانت إرادة الأقاليم غير العربية قد أثرت - على ما يثبتته لتاريخ اللغوى والجغرافيا اللغوية كذلك - في نمو الثروة اللفظية فى المعجم العربى عندما زودته بقائمة طويلة من الألفاظ نقلها من لغاتها، وأثرى بها حياة لغته، فإن العكس صحيح تماماً .

لقد استطاع الإقليم العربى، ممثلاً فى الجزيرة العربية أولاً، ثم فى عموم الأقاليم الناطقة باللسان العربى ثانياً بعد استقرار حركة الفتوح،

العربية إلى اللغات الإسلامية

ودخول شعوب كثيرة تحت لواء الإسلام، ارتضت لغة العرب لغة لها= أن يزود عددا من اللغات الأجنبية غير العربية بعدد هائل من الألفاظ العربية أخذت مكانها في معاجم هذه اللغات .

لقد استطاعت الألفاظ الإسلامية العربية أن تفتح أرضا في معاجم لغات كثيرة أجنبية على فترات مراحل تاريخية يمكن إجمالها فيما يلي :

أولاً : مرحلة انتقال الألفاظ الإسلامية العربية إلى اللغات الأجنبية المحيطة بجزيرة العرب، بعد استقرار الإسلام، وتسامع المجاورين للجزيرة العربية بالدين الجديد، وأحكامه، وتشريعاته، وآدابه، وأخلاقه = من أكثر من طريق منها طريق إرسال الرسل من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأمم المجاورة بكتابات ، ورسائل تدعوهم إلى الإسلام؛ فقد كتب إلى النجاشي ملك الحبشة ، وكسرى ملك الفرس، وقبصر ملك الروم، والمقوقس عظيم مصر .

وقد دونت رسائله وكتبه صلى الله عليه وسلم - إلى هؤلاء الملوك في مؤلفات خاصة من مثل :

أ- المصباح المضيء في كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى ملوك الأرض من عربي وأعجمي لابن حديد الأتصاري المتوفى ٥٧٨٣ دار الندوة الجديدة، بيروت سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م .

ب- إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، لابن طولون النمشقي المتوفى سنة ٩٥٣هـ تحقيق محمود الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

ثم عرفت هذه الشعوب غير العربية الألفاظ العربية بعد اختلاطها بالعرب المسلمين الفاتحين، وعرفوا الدين، وتشريعاته، وأحكامه، وأخلاقه، بأسمائها من أفواه الدعاة المجاهدين الفاتحين .

وسوف تقتصر هذه الورقة على عدد من هذه الألفاظ الإسلامية العربية التي انتقلت إلى المعاجم اللغوية لهذه الشعوب المفتوحة، وأخذت منها مكانا، ولا سيما ما نرى فيه أثر لِرادة الإقليم العربي تحديداً .

ثانياً : مرحلة الحروب الصليبية التي احتك فيها الغزاة الأوروبيون بالمجاهدين المسلمين في بلاد الشام ومصر، ونقلوا من أسماء الأسماء العربية الكثير وأدخلوه لغتهم .

وغالب الأسماء التي دخلت إلى لغات أوربة كان متعلقا بالشأن الحضارى الذى كان غائبا عن أوربة فى هذه العصور الوسيطة .

ثالثاً : مرحلة انتقال الألفاظ العربية عن طريق الحواضر العلمية العريقة ولا سيما فى الأندلس وغيرها عندما كانت مراكز يقد إليها أبناء الأمراء والنبلاء من أنحاء أوربا للتعلم، ثم يعودون، وهم من أبناء الطبقات القائدة المؤثرة، إلى بلادهم، ونشرون كثير مما تعلموه بألفاظه العربية .

وقد صنع الأب روفائيل نخلة اليسوعى فى كتابه : (غرائب اللغة العربية) (المكتبة الشرقية، بيروت، سنة ١٩٨٦م) فصلا كاملا هو الفصل الثالث وعنوانه (تأثير العربية فى أكثر لغات أوربة) يقول فيه (ص١٢٧) « سبب تأثير لغة العرب فى كل لغات أوربة تقريبا هو فتوحاتهم، فلم يمض على ظهور الإسلام بينهم ربح من الزمان حتى فتحوا النربونية؛ وهى ولاية قديمة من فرانسة القديمة، واقعة على ساحل البحر المتوسط ثمحاولوا غزو ذلك القطر » .

وعلى الرغم من غزو الأب روفائيل نخلة أثر العرب فى لغات أوربا إلى زمان الفتوحات فقط، وهو ما لا نوافق عليه؛ لأن التأثير العلمى للغة العرب امتد زمانا طويلا فانه قد ذكر ألفاظا عربية كانت دخلت للغات الأوروبية من غير عصر الفتوحات مما يؤكد تقسيمنا لمراحل التأثير اللغوى العربى .

ومن هذه الألفاظ التى دخلت اللغات الأجنبية كلمات علمية نشأت بعد استقرار الحركة العلمية والإدارية فى المحيط العربى من مثل : الكحول، والملغم (= اللغم)، والسلطان، ودلر الصناعة .

على أن تأثير العربية فى لغات الشعوب الإسلامية، بتصدير الألفاظ الإسلامية العربية لها - كان أكبر بكثير من تأثيرها فى لغات شعوب الأمم الأوروبية .

وسوف نعود بعد قليل إلى اللغة الفارسية كنموذج للتأثير اللغوى العربى فى باب المعجم فيما يتعلق بهذا الفراغ من ألفاظ الحياة؛ لنسرك مدى التأثير العربى فى المعجم الفارسى من خلال واحد من أوسع المعاجم الفارسية مادة، وهو معجم شتاينجس الفارسى الإنجليزى .

وفيما يتعلق بنقطة بحثنا رصد الأب روفائيل نخلة أن اثنتى عشر كلمة (١٢) مختصة بالدين الإسلامى، كانت قد دخل اللغات الأوروبية وهذا الألفاظ عنده هى (ص ١٢٨) الإسلام، والحريم، والخليفة، والصوفى، والقرآن، والمؤذن، والمحمدى والمسجد والمسلمون، والمفتى، والمنارة، والهجزة .

وقد عد روفائيل نخلة اليسوعى من هذه اللغات سبعا وثلاثين لغة تمثلها روس اللغات التالية : الإنجليزية، والفرنسية، والروسية، واليونانية، والأرمينية، والمجرية .

ومع رفضنا لعدد من هذه الكلمات الأثنتى العشرة أن تكون من الدين الإسلامى بالمعنى المتداول فى المعجم الأوروبى من مثل كلمة : الحريم إلا أننا أشرنا إلى ذلك للتأكيد على أن الدين الإسلامى الذى جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - ولا سيما فيما يتعلق بأماكن العبادات كالمسجد والقبلة .

وإن كانت هذه الحقيقية؛ حقيقة أثر الإسلام فى نمو الثروة اللفظية فى المعاجم غير العربية - قديمة معروفة فى كتب اللغويين العرب القدماء، إلا أننا أطلنا للوقوف أمام كلام روفائيل نخلة اليسوعى؛ لأنه مسيحى غير مسلم - لنؤكد أن هذه الحقيقة اللغوية المعجمية ليست كلاما عربيا فقط، قد ينازع فيه أحد من أصحاب الملل الأخرى .

وثمة كلام كثير فى كتب السيرة النبوية حول خصوصية المكان، أو الإقليم، وهو جزيرة العرب، وحول سر اختياره موطننا لرسالة الإسلام، دائر كله فى إطار ما أثرت به بيئة هذه الجزيرة فى سكانها على مستوى الأخلاق والأحصاد والطبائع والعادات وطرائق الحياة، ومن ثم على لغة

هؤلاء السكان، وقد حكم المؤلفون بأن شبه الجزيرة العربية كان أصلح الأقاليم لاحتضان الدين الجديد بما توفر لها من سمات وخصائص طبعت بها أبناء هذا الإقليم، مما هيأهم لحمل عبء هذا الدين، وإبلاغه للعالمين (انظر ما كتبه: أبو الحسن الندوي في كتابه (ماذا خسر العلم بانحطاط المسلمين ص ٦١ طبعة دار القلم؛ الكويت، ودار الأنصار؛ بالقاهرة، سنة ١٣٩٣هـ = ١٩٧٧م و جلال مظهر في كتابه (محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سيرته وأثره في الحضارة طبعة الخانجي سنة ١٩٧١م ص ١٩) .

ونحن نرى أن نظرة للعرب للمكان كان واحدا من العوامل المؤثرة جدا في اختيار إقليمهما محضنا للدعوة الجديدة، وهي النظرة التي ساعدت على قبولهم فكرة التوحيد الإسلامية في يسر وسهولة مقارنة بأقاليم العالم القديم الأخرى التي شهدت أفكارا، وفلسفات مركبة معقدة، يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه للتراث اليوناني في الحضارة الإسلامية (ص - ط) : « والروح اليونانية في نظرتها إلى المكان، تختلف عن الروح الإسلامية أشد الاختلاف؛ فالمكان في نظرها هو الأجسام نفسها محددة معينة، بينما المكان في نظر الروح الإسلامية خلاء غامض هائل »

وهذا هو ما يفسر لنا قبولهم السريع لفكرة التوحيد، والإيمان بالغيب أو (= الغامض) يضاف إلى ذلك أن الأفكار التي ظهرت في البلدان الإسلامية حول التجسيد، والتشبيه، والتحميم، كانت من أثار شعوب الأمم المفتوحة التي نقلت فلسفاتها، وأفكارها المركبة إلى المجال العربي .

وقد أشرنا من قبل إلى أن معرفة اللغويين العرب والمعجميين منهم على وجه الخصوص، وإدراكهم لأثر إرادة الإقليم العربي في انتقال

الألفاظ الإسلامية العربية إلى اللغات الأجنبية - كان واضحا جليا في كتابتهم، وإن لم يصرحوا بهذا الإصلاح .

ولعل من أقدم ما يدل على ذلك عنوان كتاب أبي حاتم الرازي الزينة في الكلمات الإسلامية العربية يقول الدكتور حسين فيض الله الهمداني في مقدمة تحقيقه (ص ١٤) « وضع الشيخ أبو حاتم أحمد ابن حمدان الرازي كتابا جامعا كان أول مرجع يتضمن .. الأسماء التي اصطلح عليها المسلمون، وسماء كتاب الزينة (وهو) بعمله هذا وضع للينة الأولى في علم معاني الأسماء العربية، والمصطلحات الإسلامية » وما يهمننا هنا هو هذا الالتفات القديم إلى أن الإسلام كان أوجد إلى النور لأول مرة في تاريخ العربية - هذه الدلالات لمجموع هذه الألفاظ التي سميت في تاريخ العلم بالألفاظ الإسلامية العربية .

غير أن لمس فكرة امتناع إمكان وجود هذه الألفاظ الإسلامية العربية في اللغات الأجنبية كان جاعنا بعبارة صريحة عن أبي منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ - عندما أفرد فصلا عنوانه : (فصل في أسماء عربية يتعذر وجود فارسية أكثرها) في الباب التاسع والعشرين من القسم الأول من كتابه : (فقه اللغة وسر العربية) (٢ / ٥٢٤ منتحققنا = ٣٠٥ من مطبعة المسقا والابيارى وشلبى) .

وقيمة هذا الفصل أنه جاء في إطار ما يسمى أو ما يمكن أن يسمى بالدراسة المعجمية التقابلية بين العربية والفارسية وهو ما يؤكد عنوان الباب عند الثعالبي وهو فيما يجرى مجرى الموازنة بين العربية والفارسية.

العربية إلى اللغات الإسلامية

وكان من آثار هذه الموازنة بين هاتين اللغتين، بالإضافة إلى إرادة تعليم العربية، وتقريبها لمن يرومها ويطلبها من غير أصحاب لسانها - وجود معاجم ثنائية (عربية فارسية) منها :

١- السامى فى الأسامى، للميدانى المتوفى ٥٣١ هـ وقد نشره الدكتور محمد موسى هندلوى بالقاهرة ١٩٦٧ م .

٢- مقدمة الأديب للزمخشري المتوفى ٥٣٨ هـ وقد حققه الأستاذ محمد فوزى على كجزء من متطلبات رسالته للماجستير بكلية دار العلوم، بالقاهرة سنة ١٩٩٨ م .

وهما كما ترى بعد للثعالبي بما يقرب من قرن كامل، أو يزيد .

يقول للثعالبي فى كتابه : فقه اللغة وسر العربية
٢ / ٥٢٤-٣٠٤ « فصل ... فى أسماء عربية يتعذر وجود فارسية
أكثرها :

الزكاة . الحج . المسلم . المؤمن . الكافر . المنافق . الفاسق .
الحنث . القربان . الإقامة . التيمم . المتعة . الطلاق . الظهار . الإبلاء .
القبلة . المحراب . المنارة . الجبب . الطاغوت . يليس . السجين . غسلين .
الضريع . الزقوم . التسنيم . السلسبيل . هاروت وماروت . بأجوج
ومأجوج . منكر ونكير . »

وهذه العبارة التى جاءت فى مقدمة هذا النقل عنواننا للفصل، وهى عبارة « يتعذر... » - إقرار من بعض الوجوه بأثر إرادة الإقليم الذى أنتج فى العربية هذه الألفاظ .

وهذا الجانب مما يتماس مع الجغرافيا اللغوية، وعلم اللغة الاجتماعى، والصراع بين اللغات من بعض الزوايا .

وكلمات القائمة التى سبقت، بغض النظر عن الأعلام الموجودة فى هذه القائمة، جاءت عن طريق الاستقاق من ألفاظ العرب، وإن كان الإسلام قد أضاف إليها أبعاد دلالية جديدة لم تكن معهودة معلومة للعرب، لكن أصولها التى اشتقت منها قربت تناولها ويسرت تقبل دلالتها للجديدة يقول ابو حاتم الرازى فى كتابه (الزينة فى الكلمات الإسلامية العربية) (١/١٣٥) : « إن الأسماء التى هى مشتقة من ألفاظ العرب .. لم تكن العرب تعرفها؛ لأن الإسلام، والإيمان، والنفاق ... ظهرت على عهد النبى، صلى الله عليه وسلم » وتأمل اللفظ الأخير، وهو النفاق يؤكد ما نقرره وأدرنا عليه ورقتنا هذه - من أثر إرادة الإقليم . وتاريخ اشتقاقها يرجع زمانا إلى المرحلة التى أضمر فيها نفر - لم يستطيعوا مواجهة الدين الجديد عقب اشتداد شوكة أصحابه - الكيد والمخادعة بعد تأسيس الدولة الإسلامية بعد هجرة النبى الكريم - صلى الله عليه وسلم .

والكلمة بعد مأخوذة من نفاقاء اليربوع، وهو بيته السابع الذى يفر إليه ممن يطلبه فى غيره، وسوف يأتى مزيد توضيح فى تحليلها فيما بعد .

ثم صدرت العربية أمثال هذا اللفظ إلى اللغات الأخرى، ومثل هذه الأسماء التى تميز أشياء بعينها لم يكن مرذ أكثرها إلى العقل، « بل كان مردها إلى الطبائع التى أنشأتها إرادة الإقليم، المسيطرة على الطبائع الإنسانية، وإلى العادات المتوارثة التى لم تقاومها هذه المدنيات مقاومة الحرب، والإبادة، فكنك بقيت هذه المميزات قائمة، سائرة، متعارفة » (جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جمعها الدكتور عادل سليمان جمال، ١ / ٧٥ طبعة مكتبة الخانجى بالقاهرة ٢٠٠٣ م)

وفيما يلي سنحاول استخلاص عدد من الكلمات التي دخلت المعجم الفارسي مما يتعلق بهذا النوع من الكلمات الإسلامية العربية ، مما له كبير علاقة بالإقليم أو المكان ، يرشح لورقتنا .

قربت تناولها ويسرت تقبل دلالتها الجديدة يقول أبو حاتم الرازي في كتابه (الزينة في الكلمات الإسلامية العربية) (١٣٥/١) : « إن الأسماء التي هي مشتقة من ألفاظ العرب... لم تكن العرب تعرفها؛ لأن الإسلام ، والإيمان، والتفان... ظهرت على عهد النبي، صلى الله عليه وسلم » وتأمل اللفظ الأخير، وهو النفاق يؤكد ما نقرره وأدرنا عليه ورقتنا هذه من أثر لإرادة الإقليم . وتاريخ اشتغالها يرجع زمانا إلى المرحلة التي أضمر فيها نقر - لم يستطيعوا مواجهة الدين الجديد عقب اشتداد شوكة أصحابه - الكيد والمخادعة بعد تأسيس الدولة الإسلامية بعد هجرة النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم .

والكلمة بعد مأخوذة من نفاق اليربوع، وهو بيته السابع الذي يفر إليه ممن يطلبه في غيره، وسوف يأتي مزيد توضيح في تحليلها فيما بعد .

ثم صدرت للعربية أمثال هذا اللفظ إلى اللغات الأخرى، ومثل هذه الأسماء التي تميز أشياء بعينها لم يكن مرد أكثرها إلى العقل، « بل كان مردها إلى الطبائع التي أنشأتها لإرادة الإقليم، المسيطرة على الطبائع الإنسانية، وإلى العادات المتوارثة التي لم تقاومها هذه المدنيات مقاومة الحرب، والإباداة، فكذاك بقيت هذه المميزات قائمة ، سائرة، متعارفة » (جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جمعها الدكتور عادل سليمان جمال، ٧٥/١ طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة ٢٠٠٣ م) .

وفيما يلي سنحاول استخلاص عدد من الكلمات التي دخلت المعجم الفارسي مما يتعلق بهذا النوع من الكلمات الإسلامية العربية ، مما له كبير علاقة بالإقليم أو المكان، يرشح لورقتنا .

وسوف يغض هذا البحث الطرف عن الألفاظ العربية التي دخلت الفارسية وتنتمي إلى مجال المستحدثات الحضارية؛ لأن اللغات كلها متساوية في تصدير مستحدثاتها الحضارية بأسمائها. وإنما يأتي التفاوت بين لغات الشعوب في هذا المضمار - من اختلاف ظروف أبناء هذه الشعوب واللغات في الاجتهاد، والابتكار، والصناعة، ومجمل الجد في ضروب الحياة المنتجة .

والنموذج الذي اخترناه لاستخلاص الكلمات هو معجم العالم الألماني (شتاينجس STEINGASS وعنوانه (A COMPREHENSIVE PERSIAN – ENGLISH DICTIONARY)

الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٨٩٢م، وإن كنا سنعتمد طبعته التي صدرت سنة ١٩٧٥م ، ويأتى اختيارنا لهذا المعجم تحديداً مسوغاً بأكثر من سبب كما يلي :

١- إن مؤلفه شتاينجس كان واحداً من أبناء مدرسة متقدمة في الدراسات الإيرانية في الأوساط العلمية في أوروبا ، وأقصد ألمانيا، حيث كان أستاذاً في جامعة ميونخ .

٢- إن هذا الرجل نفسه كان واحداً من علماء العربية ، ألف فيها معجمين أحدهما: عربى - إنجليزي ، وثانيهما : إنجليزي - عربى .

٣- إن شتاينجس كان واعيا بأن معجمه لا يمكن أن يهمل الألفاظ ،
والعبارات العربية التي دخلت الفارسية ، وضمنها معجمه هذا يقول
في صفحة العنوان ما ترجمته: وهو معجم « متضمن الألفاظ ،
والعبارات العربية التي طرقت الأدب الفارسي » . كما أنه حدد
أصول الكلمات غير الفارسية في معجمه بوضع رمز للغة الأم التي
انحدرت منها واستقرت في المعجم الفارسي .

٤- إن شتاينجس أوروبي وليس عربيا أو مسلما، ثم إنه متأخر زمانا قد
ألف معجمه في زمان احتلال لنا ويتعصب ضدنا، وقد نكرنا هذا كله
حتى لا يقال إنه ألف معجمه في عصر المد الحضاري العربي، بل هو
جاء في زمان علو كعب الحضارة الغربية التي تتال من حضارتنا،
وثقافتنا، وتنتقص لغتنا، وفي إقراره هذا - بعد كل ذلك بحقيقة ما
وصل من العربية إلى غيرها من اللغات - ما فيه .

وسوف نقنصر في استخلاصنا لبعض الألفاظ النماذج على الباب
الأول وهو حرف الألف ، وسوف نذكر اللفظة وقيلها رقم الصفحة
والعمود أو النهر الذي ورد فيه، وسنقتصر كما أضربنا من قبل إلى ما نرى
فيه أثرا لإرادة الإقليم، وعلامة من علامات خصوصية المكان . من دون
ذكر للأعلام بأنواعها ، أو ما يتعلق بالإسلام تشريعا أو دينا فقط ولا يرى
فيه أثر لإرادة الإقليم أو خصوصية المكان؛ لأن الإعلام أو اصطلاحات
العبادات، مظنة لعدم التغيير عند انتقالها من لغة إلى لغة أخرى .

وهذه الألفاظ التي سنذكرها دخلت الفارسية بأصواتها، ورسمها، وبطريقة نطقها العربي، يؤكد ذلك ما ذكره المؤلف عقب كل كلمة من رسم صوتي نطقي بطريقة التمثيل الصوتي = TRANSLITERATION .

والأمر بعد لا يحتاج إلى ادعاء الاجتهاد من جانبنا فقد حدد المؤلف الكلمات الأجنبية غير الفارسية الأصول التي دخلت المعجم الفارسي بوضع رمز للغة الأصل التي صترت اللفظ، فقد وضع الرمز الكتابي A أمام كل كلمة عربية دخلت الفارسية، وذكرها في معجمه وهو اختصار للغة العربية ARABIC .

ومثل ذلك فعله مع اللغات الأخرى كاليونانية، والهندية وغيرهما.

من هذه الألفاظ التي ظهر عليها أثر إرادة الإقليم العربي ثم جاءت

في معجم شتاينجس .

- ٤ / ٢٤ ابتداء = وقد نص على أنه استحداث أمر في الدين .
- ٥ / ١٤ ابتهاج = وقد نص على معناها المتعلق بالدعاء وفي الصلاة .
- ١٧ / ١٤ اجتهاد = وقد أشار إلى المعنى العلمي المتعلق بعلم الأصول، وهو علم شرعي .
- ١٨ / ٢٤ إجماع = وقد نص على المعنى الشرعي المتعلق بالاجتماع حول نقطة في التشريع = (القانون) في نص شتاينجس .
- ١٩ / ٢٤ إهباس = أشار إلى أنها وقف للاستخدام الديني ورعا، وتقوى.
- ٢١ / ٢٤ إحسان
- ١٢ / ٢٤ أحصان = اتخاذ زوج، وله علاقة ببعض تشريعات الأسرة، والحدود .

- ٢٦ / ١ع إخلاص - أشار إلى المعنى المتعلق بالعبادة المنافي للرياء .
- ٢٨ / ١ع أدعية - أشار إلى تعلقها بالصلاة .
- ٣١ / ٢ع أنكر - وأدعية في أوقات متعددة متنوعة .
- ٢٧ / ٢ع أولم - جمع أرملة للمرأة التي فقدت زوجها .
- ٢٨ / ١ع إركز - فيما يتعلق بالمعادن داخل الأرض - (في باب زكاة الركاز) .
- ٤٥ / ٢ع أزيد - لصوت الغليان .
- ٤٦ / ٢ع إساءة - ذكر أن مضاهما الذنب .
- ٥٠ / ١ع استبراء - طلب نقاء الرحم بعد وفاة زوج المرأة ، أو طلاقها، وقد أشار إلى ذلك .
- ٥٠ / ١ع استجارة - طلب حماية، وهو من المعانى المتعلقة بجزء من الشرع يتعلق بعرض الدين .
- ٥٠ / ٢ع استحاضة - وهي تتعلق بالدم النازل بعد انقطاع الحيض (وليه علاقة بالعبادات التي تجب على المرأة بعد أن كانت حراما في فترة الحيض - (الدورة الشهرية)).
- ٥١ / ١ع استخارة - طلب المعونة من الله سبحانه بكيفية خاصة في ترجيح أمر يحار الإنسان تجاهه .
- ٥١ / ٢ع استدلال - إعطاء الحجة والبرهان على شئ ما إيجابا أو إثباتا، أو سلبا أو نفيا ... إلخ .
- ٥١ / ٢ع استرجاع - رد الأمر إلى الله سبحانه - (من إن لله وإن إليه راجعون) .
- ٥٢ / ١ع استسقاء - طلب نزول الغيث بكيفية خاصة .
- ٥٢ / ١ع استشهاد - ذكر الدليل على حجية شئ .

- ٥٢ / ٢٤ استطاعة
- ٥٣ / ١٤ استعادة - طلب النجاة من الشيطان = (من أعوذ بالله؛ أى احتفى أو ألجأ إليه) .
- ٥٤ / ٢٤ استنثر - إخراج ما علق بالأنف بالماء، وهو من أفعال الوضوء .
- ٥٥ / ١٤ استجاء - تنظيف مكان إخراج النجس، من أماكن العورة المغلظة .
- ٥٥ / ١٤ استشاق - غسل الأنف بالماء من الداخل .
- ٥٧ / ١٤ إسراء - نص على أنها رحلة ليلة .
- ٦٧ / ١٤ أشواط - وقد نص على معناها بالدوران أو السعى فى الحج والعمرة .
- ٦٩ / ٢٤ أصول - وقد نص على المعنى المتعلق بالقواعد العامة (=أصول الفقه) .
- ٧٣ / ٢٤ اعتقاد - وقد نص على معنى الإيمان والعقيدة .
- ٧٧ / ١٤ اغتسل
- ٧٤ / ٢٤ إلك - وهو كذب تاريخى متعلق بحادثة بعينها ولا سيما عند التعريف .
- ١٢٣ / ٢٤ اهداء - وقد أشار إلى علاقة بإيجاد الطريق السوى وله علاقة بالأكلة والنجاة فى الصحارى .
- ١٣٢ / ١٤ إيمان - وقد أشار إلى أنواع الحلف .

وتأمل هذه الألفاظ الإسلامية العربية التى دخلت الفارسية بأصواتها وأبنيته وطريقة نطقها، والتى أوردتها كما جاءت فى المعجم الفارسى الإنجليزى المذكور - يؤكد ما قلنا به من أثر إرادة الإقليم فى

تصدير هذه الألفاظ إلى معاجم اللغات الأجنبية التي أخذنا لها نموذجا هو معجم شتاينجس .

وليست هذه الكلمات هي كل الكلمات العربية التي ذكرها ذلك المعجم، بل هي لاتكاد تمثل شيئا من كثافة الكلمات المذكورة في باب الحرف الأول، وإنما اقتصرنا عليها؛ لأننا رأينا فيها بروز أثر الإقليم أو خصوصية المكان العربي .

خذ مثلا من خارج حرف الألف، ورد سابقا عند المعجمين العرب، وشاركهم في نكره شتاينجس، وهو لفظ النفاق ١٤١٤ / ع٢، وقد دخلت هذه اللفظة برسمها، ونطقها وقد مثلها صوتيا كما يلي : N-IFAQ إلى الفارسية وترجمها المؤلف بكلمة HYPOCRISY الإنجليزية ومعناها (التظاهر بالفضيلة، خداعا للآخرين) .

وهذا المعنى متداول في كل المجتمعات؛ بحكم وجود مظاهر للحياة تفرض أن يختلط الأغنياء المسيطرون بالفقراء، الذين يجنح بعضهم إلى مواجهة الأقوياء بهذه الطريقة من التعامل .

غير أن لفظة النفاق العربية التي دخلت المعجم الفارسي بأصواتها ونطقها، لها علاقة بإرادة الإقليم في جزيرة العرب؛ لأنها متعلقة بالمكان، ومتعلقة بسياق حالي له حضوره في التاريخ العربي ارتسبط بجغرافية الإقليم العربي، وشكل جزءا من إرادته .

يرى الدميري في كتابه (حياة الحيوان (يربوع) ص ٢٣٥٩) نقلا عن الجاحظ في كتابه (الحيوان) ١/ ٣٣٢ :

« واسم المنافق لم يكن فى الجاهلية لمن أسر الكفر، وأظهر الإيمان، ولكن البارى جل وعلا اشتق له هذا الاسم، من هذا الأصل، من نفاق اليربوع؛ لأنه أبطن الكفر، وأظهر الإيمان، وورى بشئ عن شئ، ودخل فى باب الخديعة، وأوهم الغير خلاف ما هو عليه، أشبه فى ذلك فعل اليربوع ». .

وهذه تسمية راعت - كما نرى - المكان والإقليم، فلما نقلها الفرس المسلمون وكان بالإمكان نقلها بالترجمة لمعناها، مع تخصيصها بمجال الدلالة الذى خصمه لها الإسلام، لكن الذى حدث من المعجم الفارسى أنه نقلها بنطقها، ولم ينقلها نقل ترجمة، مع إمكان ذلك، لأن الناقل الفارسى رأى أن ترجمتها سيفقدها حضورها التاريخى الذى حدد ملامح دلالتها فى العربية الإسلامية .

خذ مثلا آخر من هذه القائمة الأخيرة وهو لفظ (الاستجاء) . وهو لفظ كما ترى قد راعى طبيعة العرب، فى إزالة نجاسات أبدانهم التى يسمونها نجوا؛ ومن ثم يصبح المعنى هو طلب إزالة هذا النجو .

أو قد يكون اللفظ قد راعى طريقة الاختفاء فى الوديان والمنخفضات طلبا للمسترة عند قضاء الحاجة، ولم تكن العرب تتخذ فى بيوتها الكنف أو الحمامات لزمان طويل امتد لوقت بعد الهجرة .

أو قد يكون اللفظ قد راعى طريقة العرب فى إزالة نجاسات أبدانهم بالحجارة، على عادة العرب؛ لندرة المياه، وضمنهم بها فى غير الشرب والطعام .

وكل هذه معاني ليست لها علاقة بالإقليم الفارسي؛ لأن فارس أو إيران بلد من بلدان الحضارة القديمة تعرف (الكنف) فى بيوتها، ولا تخرج تتغوط فى الوديان، أو المرتفعات .

وهو بعدُ بلد وافر المياه، يستخدمونها فى إزالة نجاسات أبدانهم، ودخول هذه الكلمة ومثيلاتها، برسمها ولفظها العربى إلى المعجم الفارسى - يؤكد أثر إرادة الإقليم العربى مع أنهم لا ينظفون أنفسهم بطريقة العرب فى تنظيفهم، فاستعاروا هذه اللفظة لعلمية التنظيف . لقد انتقلت الجغرافيا، وسافر الإقليم بمساته وخصائصه عن طريق ما استعير من لغته .

ومثل ذلك يقال فى تحليل كلمة الاهتداء، وطلب الطريق السوية، وهو مصطلح أُلصق بطبيعة إقليم يعرف المفاوز والصحارى .

ومثل ذلك وورد صحيح فى هذه الأمثلة التى أوردناها . لقد كان بالإمكان ترجحتها ، لكن الفرس نقلوها كما هى - على ما أورده شستاينجس - من دون إلغاء للنطق العربى؛ ليبقى كل ذلك دليلاً من جانب - على أثر المعجم العربى ، فى إتمام معاجم اللغات غير العربية بكثير من الكلمات هى بنات المكان العربى ، أو الإقليم العربى بعد مجيء الإسلام العظيم .

وإرادة الإقليم يَحُدُّ باب من العلم صالح فى مجال دراسة الأعلام الإنسانية، والأعلام الجغرافية دراسة دلالية يُبين أثره فى بناء هذه الأعلام أو تلك إلى غير ذلك من أبواب الدراسات اللغوية كما سبق أن أشرنا فى باب التعريب مثلاً .

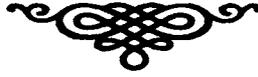
فهرس مراجع البحث

- إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، لابن طولون الدمشقي، تحقيق محمود الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .
- الألفاظ الهندية العربية، للدكتور محمد يوسف، ضمن مجلة اللسان العربي الرباط، العدد العاشر، الجزء الأول في ذي القعدة ١٣٩٢هـ = ١٩٧٣م .
- تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، للدكتور شوقي عثمان سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٥١ سنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م .
- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية دراسات لكبار المستشرقين، تأليف وترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية، القاهرة، سنة ١٩٦٥م .
- جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جمع الدكتور عادل سليمان جمال مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ٢٠٠٣م .
- حياة الحيوان، للدميري، كتاب الجمهورية، دار التحرير للنشر، القاهرة سنة ١٩٩١م .
- الحيوان، للجاحظ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة سنة ١٩٦٥م .

أثر إرادة الإكليم في إنتقال الألفاظ الإسلامية

العربية إلى اللغات الإسلامية

- الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، لأبي حاتم الرازي، تحقيق حسين فيض الله الهمداني، القاهرة، سنة ١٩٥٦م الجزآن الأول والثاني .



الدراسة السادسة :

**تقدير الآخر : العناية بالمُعرب في القرن
العاشر الهجري**

العناية بالمُعرب في ضوء الانسجام المعرفي في بنية الثقافة العربية الإسلامية .

تهييد :

هل كان القرن العاشر الهجري قرن انهيار حضاري أو مقدمة له، فقد فيه المجتمع الإسلامي انسجامه المعرفي أو بدأ في ذلك ؟ وهل تبنت علامات لهذا الانهيار إن سلمنا بالقول بوقوعه ؟ أم كان على النقيض من ذلك قرناً صيغت فيه المجتمعات الإسلامية بالتحضر ؟

هذان فرضان يحاول هذا البحث أن يخضعهما للفحص من خلال الدرس اللغوي؛ بمعنى أنه يرى أنه بالإمكان فحص أحد هذين القولين اعتماداً على ما يمكن أن يسمى باللغويات الفاحصة^{*}، والمقصود من هذا العنوان استثمار بعض المسائل التي هي من صميم علم اللغة في فحص عدد من المقولات الاجتماعية، ولاسيما في علم اجتماع الثقافة المتعلق ببنية المجتمعات العربية والإسلامية من خلال ما وصل إلينا من تراثها، وإنتاجها الفكري في جانبه اللغوي.

ومن هنا تأتي أهمية اختيار هذا البحث لهذين العلمين اللغويين الكبيرين، ليمثلا جناحين للحضارة الإسلامية في جزئها المشرقي المحاط

* اللغويات أو اللسانيات الفاحصة مصطلح نقتضيه ونقصد به استخدام الدرس اللساني أو اللغوي في فحص عدد من مقولات العلوم الأخرى بهدف التأكد من صلاحيتها؛ بمعنى اعتبار اللغويات آلية إجرائية لتقيس بعض الظواهر الاجتماعية أو غيرها مما ينعكس بدوره على بنية لغة ما من اللغات ولاسيما في مستوى المعجم وهناك دراسات ما تزال في طور النشأة عن المعاجم والثقافة راجع في هذه المسألة: المعاجم عبر الثقافات، لهارتمان ٥٦ وما بعدها.

باللسان العربي، وفي جزئها غير العربي المحاط بلسان آخر، من خارج دائرة فصيلة اللغات السامية التي تنتمي إليها العربية.

ويمثل هذه المنطقة الجغرافية العربية من العالم الإسلامي جلال الدين السيوطي الشافعي المتوفى عام ٩١١ هـ، كما يمثل ابن كمال باشا شيخ الإسلام في إستانبول المتوفى سنة ٩٤٠ هـ للمنطقة الجغرافية الأخرى غير العربية من هذا العالم الإسلامي؛ واختيار هذين العلمين مقصود للتأكد من نتائج فحص الدعوى التي ينطلق منها للبحث وهي أن قبول الآخر، فضلا عن تقديره، والاعتراف بمنجزاته - واحد من عناصر التحضر، ومقياس أو معيار يُحتكم إليه في قياس تحضر مجتمع ما من عدمه.

أضف إلى ذلك أن هذا المقياس الاجتماعي الثقافي سيتخذ البحث دليلا على ما يسمى في علم اجتماع الثقافة / الأنتولوجيا، بالاتساق المعرفي أو الانسجام المعرفي والمقصود به "اتساق بين المعتقدات والأفكار، والإدراكات، وموضوعات وأشكال المعرفة الأخرى التي تشكل نسق المعرفة والذي يمثل كلا متكاملا منسجما لا ينطوي على أية تناقضات داخلية، وانسجام المعرفة ليس مطلقا، وإنما يتغير في ضوء ظروف ومواقف معينة".^١

وهذا المعيار بهذا المعنى صالح لقياس ما إذا كان العالم الإسلامي في القرن العاشر الهجري مجتمعا متحضرا أم غير متحضر،

^١ قلموس علم الاجتماع ص ٦٦ - ٦٧.

في بنية الثقافة العربية الإسلامية

يعاني من التدهور أو من النكوص الثقافي، ذلك أن واحداً من أشكال التدهور والتفكك راجع إلى رفض الآخر^١.

وهذه المقاومة لبعض العناصر الثقافية، وبخاصة في مجال المفردات الحضارية، أو قبولها يمكن أن يعد المحك الحقيقي لفرضية البحث، للدرجة التي تمكننا أن نصوغها في المعادلة التالية:

الاعتراف بوجود ألفاظ أعجمية معربة في بنية اللغة العربية دليل على الإسجام في أنحاء العالم الإسلامي (عرب وعجم) للمعربي وقبول الآخر .

بمعنى أن الإسلام يقدر جهود الإنسان عموماً، بمقتضى قانون كوني، وضعه الله سبحانه في الأرض، وأن هذا القانون كامن في بنية الثقافة الإسلامية في عصور القوة بمقتضى النص الذي استهللنا به هذا البحث من كلام أبي الوليد بن رشد ٥٩٥ هـ في كتابه فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال، حيث يقول إنه 'يجب علينا إن ألفينا لمن تقدم من الأمم المسالفة نظراً في الموجودات، واعتباراً لها، بحسب ما اقتضته شرائط البرهان - أن ننظر في الذي قالوه من ذلك، وما أثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم، وسررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه، وحذرنا منه، وعذرناهم'^٢.

^١ انظر في مفاهيم مصطلحات التدهور والنكوص والتفكك والقبول ونمط الرفض: قاموس مصطلحات الأنتولوجيا والفولكلور ص ١٨٨ ١٣٥٤ ١١١٩ ٣٦٠ على الترتيب.

^٢ فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال ص ٢٨.

وقد آداه استنباطه هذا إلى أن يقول إنه قد "تبين أن النظر فسي كتب القدماء (الآخر) واجب بالشرع"^١.

وهذا البحث يرى أن هذا الانسجام المعرفي cognitive consonance، باعتباره شكلا من أشكال تحضر المجتمعات الإسلامية ظل قائما، كائنا في بنية الثقافة في القرن العاشر الهجري مما يدل على أنه لم يكن عصر انحطاط أو تدهور، وهو ما سوف تؤكد العينه sample التي أخضعناها للدراسة، المتمثلة في الجلال السيوطي وابن كمال باشا.

وبهذا - وعن طريق استخدام القول بالمعرب، والعناية به، أمكن قياس تماسك المجتمع الإسلامي ثقافيا وحضاريا عن طريق حلول تقدير الآخر وقبوله في قائمة العناصر الثقافية في بنيته في هذا القرن، وأن جوهر الثقافة أو نمطها السائد في هذه المجتمعات ظل موجوداً ولم يختف في هذا القرن، الذي يراه البعض مقدمة للانهييار، ذلك أن جوهر الثقافة يعرف بأنه "تلك الاتجاهات العامة، والنظرة إلى الحياة والمظاهر الحضارية التي تمنح شعبا من الشعوب مركزه المتميز في العالم"^٢.

وهذه النظرة إلى الآخر، والاعتراف بمنجزه، والافتراض منه كان نمطا سائدا، مما يدل على أن المجتمع الإسلامي في هذا القرن - من هذه الوجهة - لم يكن مجتمعا منعزلا، ولا متخلفا، وقد شاع في كثير من الكتابات الاجتماعية وغير الاجتماعية وصف المجتمعات المنهارة حضاريا بأنها لا تستعير شيئا من المجتمعات العدوة.

^١ فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال ص ٢٨.

^٢ انظر: قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفولكلور ص ١٧٣.

يقول الدكتور عبد الهادي زاهر في معرض استدلاله على ذلك:
لكننا نشير هنا إلى حقيقتين جوهريتين تتصلان بالمجتمع وبوضعه الحضاري...، الحقيقة الأولى... أن الشاعر (أو المتقف) في ظل المجتمع الموحد يكون ميالا إلى أن يشعر بأنه جزء من هذا المجتمع بدلا من أن يكون متعرداً عليه، يفضل أن يكون موصلا للحقيقة القديمة على أن يكون مكتشفا لحقيقة جديدة. وعندئذ لا تبتعد رؤية الفنان (أو المتقف) كثيرا عن رؤية مجتمعه واستعارة مفهوم (ما) من مجتمع ما مغاير نوع من التمرد والرفض، ومحاولة لنسخ الحقيقة القائمة وإحلال أخرى محلها، وهو ما لا يحدث في مثل هذا المجتمع.

" وتتصل بهذه الحقيقة حقيقة أخرى هي أن المجتمعات العربية كانت بدرجة ما مجتمعا مهددا أو يشعر بأنه مهدد¹؛ من جراء ما تعرض له من هجمات من الغرب ومن ثم فاعتراض العرب المسيحيين من خلال مؤلفات المرعبات اللغوية باستعارة مفاهيم حضارية يمثلها مجموع الكلمات التي عُرِّبت يدل على عدم إحساس بالضعف أو الخوف من التهديد، ويدل على العكس من ذلك تماما أن المجتمعات الإسلامية ظلت متمتعة بما سميناه الإنسجام المعرفي.

ونحن نقرا ما يقوله المؤرخون من أن المجتمع الإسلامي في مصر مثلا موطن الجلال النبطي في أيام القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي كان بدأ فيه "زوال ملك مصر وسيادتها، وكان بدء رقتها، وفتاحة نلتها مدى عصور طويلة، نوى فيها مجدها الثالث،

¹ صلة الموشحات والأزجال بشعر التروبادور من ١٢٢-١٢٣ وتظر كذلك في علاقة اللغة بالثقافة

كتاب: علم اللغة الاجتماعي للدكتور كمال بشر من ٢٣٥ وما بعدها.

وركدت فيها كل نواحي عظمتها السالفة، وانحدرت إلى شبه ما تتحدر إليه أمة عظيمة، من ضروب الانحلال الفكري والاقتصادي والاجتماعي¹.

لكننا نرى في هذا قدرا من العصبية لمصر مادة دراسة الراحل الأستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه مؤرخو مصر الإسلامية؛ لأننا نرى القرن العاشر الهجري ولو على المستوى الفكري قد شهد بزوغ عدد ضخم من الموسوعيين، ويمكن تعميم ذلك للحكم في غير مصر من الجانب الآخر غير العربي من خريطة العالم الإسلامي كما نرى في النموذج الثاني من العينة المختارة وهو ابن كمال باشا.

إن ما يهمنا فحصه هنا هو أن العناصر الثقافية في بنية المجتمع الإسلامي شرقا وغربا في ذلك العصر لم تتكرر للمبادئ الفكرية للإسلام، وهذا ما تكفل بأدائه والدلالة عليه ما سميناه العناية بالمعرب؛ حيث كانت تلك العناية دليلة من جانبنا على أمرين هما:

١- الانسجام المعرفي، أو تماسك ثقافة الإسلام في هذا القرن الذي يحده المؤرخون فاتحة للانهيار.

٢- التخصر بمعنى أن المجتمعات الإسلامية في هذا القرن وإن لم تنتج أشكالاً مادية تكل على رفعة حضارتها، إلا أنها كانت متمتعة بواحد من أهم ما يدل على تحضرها المعنوي والفكري الذي تبدى في قبول هذه المجتمعات للآخر والاعتراف بمنجزه من خلال الاعتراف باقتراض بعض رموزه الثقافية المتمثلة في عدد من المفردات التي دخلت بنية المعجم العربي فيما يعرف اصطلاحاً

¹ مؤرخو مصر الإسلامية ص ١٥٢ وانظر: مصر الإسلامية وتاريخ العطف المصرية ص ١٩٧.

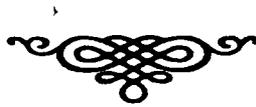
بالمعرب، فضلا عن كثافة المنجز التألفي مقارنة بقرون الإسلام المختلفة في مجال التأليف في المعرب الذي هو اللفظ المنقول إلى العربية من لغة أخرى أجنبية.

وفي الجدول التالي ما يبرز هذه الكثافة، مما يؤكد أن المنتج الحضاري في مجال الكتب يصب في بابة عدم اتهامه - بإطلاق - بالتخلف، وسوف نتوقف على ما وصل إلينا:

النسبة المئوية	عدد مؤلفات المعرب	القرن الهجري
16,67%	١- الجواليقي - المعرب ٢- ابن بري - حاشية على المعرب	السادس
8%	١- البشبيشي - التذييل	التاسع
33,33%	١- السيوطي - المتوكلي ٢- السيوطي - المهذب ٣- ابن كمال باشا - رسالة تحقيق تعريب الكلمة الأعمية ٤- ابن كمال باشا - رسالة في تعريب الزنديق	العاشر

١٦,٦٧%	١- الخفاجي = شفاء الغليل ٢- عبد الرشيد الحسيني = المعربات الرشيدية	الحادي العشر
٢٥%	١- مصطفى المدني = جامع التعريب ٢- المحبي = قصد السبيل ٣- محمد راغب باشا = النكر المخلد	الثاني العشر

ويتضح لنا من تحليل الجدول السابق ارتفاع النسبة المئوية للتأليف في المغرب في القرن العاشر الهجري مقارنة بما سبقه أو ما خلفه في حجم المنجز التألفي في مجال المعربات اللغوية، مما يدل على عدم تخلف ذلك القرن الهجري حضارياً وفق العلامات التي قدمناها في هذا السياق .



تقدير الأخر!

العناية بالمعرب في القرن العاشر الهجري (مؤلفات الجلال السيوطي وابن كمال باشا) مقال في التوثيق

١- الجلال السيوطي ٩١١ هـ :

يعد الجلال السيوطي واحدا من أكبر المؤلفين الموسوعيين في تاريخ الفكر العربي والإسلامي، إذا نظرنا إليه من زاوية عدد ما ألف، أو من زاوية قيمة ما تركه لنا، وهو كذلك من كبار اللغويين في تراث الدرس اللغوي العربي، بقياس ما تركه لنا في النظرية اللغوية، أو ما تركه لنا في التأليف المعجمي والنحوي.

وهو أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر كمال الدين بن محمد، المعروف بجلال الدين السيوطي الخضير الشافعي المولود في عام ٨٤٩ هـ - ١٤٤٥م والمتوفى عام ٩١١ هـ - ١٥٠٥م.

(انظر في ترجمته ما كتبه عن نفسه في: التحدث بنعمة الله، وبروكلمان ق ٦ (١١ - ١٢) ص ٦٠٣ وما بعدها، ودليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها ٧ وما بعدها) .

وقد ترك لنا في مجال التأليف في المعرب ما يلي:

١- المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغات يقول عنه بروكلمان ق ٦ / ١١ - ١٢ ص ٦١١ رقم ١٣ " هذا كتاب مختصر في معرب (معربات) القرآن " .

والكتاب منسوب إلى الخليفة المتوكل على الله، عبد العزيز بن يعقوب المتوفى في ٩٠٣هـ وهو من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر.

وقد طبع في مطبعة الترقى بدمشق ١٣٤٨هـ، وحققه وترجمه رسالة للدكتوراه من جامعة بيل المستشرق: بيل W. Y. Bell، ونشره بالقاهرة عام ١٩٢٤م.

ثم حققه الدكتور عبد الكريم الزبيدي ونشره في جامعة سبها بلبيبا سنة ١٩٨٦م^١.

٢- المهنذب (المذهب) فيما وقع في القرآن من المعرب، وقد حُرّف اسمه بروكلمان فجاء عنده: للمهنذب فيما دفع من القرآن من المعرب!

وقد حققه الدكتور التهامي الراجي الهاشمي ونشره صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بالمغرب / والإمارات بدون تاريخ.

وكان نشره من قبل الدكتور إبراهيم أبو سكين، بالقاهرة سنة ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

٣- وقد ذكر بروكلمان ق٦ / ١١-١٢ ص ٦١١ رقم ١٢ عنوانا آخر للسيوطي هو مقدمة في الألفاظ المعربة في القرآن، ولعله هو المهنذب نفسه! أو لعله هو الفصل الذي عقده السيوطي في كتابه الإتيقان ١٠٥/٢ للمعرب القرآني! وهذا الفصل في الإتيقان تلخيص لما في المهنذب بنص المؤلف نفسه حيث يقول في النوع الثامن

^١ انظر: كشف الظنون ١٩١٤ ودليل مخطوطات السيوطي ص ٥٦/٤٤ وبروكلمان ق٦ / ١١-١٢ ص ٦١١.

والثلاثين فيما وقع فيه (أي في القرآن) بغير لغة العرب: قد أفردت في هذا النوع كتابا سميته: (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب) وها أنا أخص هنا فوائده^١.

٢- ابن كمال باشا ١٤٠هـ:

يعد ابن كمال باشا - مثلما عدّ السيوطي من قبل - واحدا من كبار المؤلفين الموسوعيين في تاريخ الفكر العربي الإسلامي وفق تقسيم بروكلمان في موسوعته تاريخ الأدب العربي (ق ٩ / ١٣-١٤ ص ٤٢٦).

وهو شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا، تدرج في مناصب الدولة العثمانية حتى صار شيخ الإسلام في إستانبول، وتوفي سنة ١٤٠هـ = ١٥٣٣م.

(ونظر في ترجمته: بروكلمان ق ٩/١٣ اب - ٤ ص ٤٢٦ وما بعدها ومقدمة تحقيق رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية ١١-٢٥).

ومن مؤلفاته في المعرب ما يلي:

١- رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية، ويسمى بروكلمان رسالة التعريب وهي تتناول تكوين الألفاظ الدخيلة.

وقد نشرها الدكتور أحمد الحسيني والدكتور عبد الكريم الزبيدي، بالقاهرة سنة ١٩٨٥م.

^١ انظر: كشف الظنون ١٩١٤ وندل مخطوطات السيوطي ص ٥٦/٤٤ وبروكلمان ق ٦ / ١١-١٢ ص ٦١١.

٢- رسالة في تحقيق لفظ الزنديق، وتوضيح معناه الدقيق، أو رسالة في تعريب لفظ الزنديق، وهي جزء من الكتاب السابق استغرقت الصفحات من ٥٧ إلى ٦١ .

مؤلفات المعرب في القرن العاشر الهجري (المنهج والصادر)

يمكن القول أن مؤلفات المعرب في القرن العاشر الهجري، كانت امتداداً لمناهج التأليف المعجمي التي عرفها العرب من قبل.

وقد توزعت هذه المؤلفات التي مر ذكرها على اتجاهات ثلاثة هي كما يلي:

- أ - المدرسة الموضوعية (ويمثلها كتاب المتوكلي للسيوطي) .
- ب - المدرسة الهجائية (ويمثلها كتاب المهنذ للسيوطي) .
- ج- المدرسة الصرفية (ويمثلها كتاب ابن كمال باشا) .

(أ) مدرسة الترتيب الموضوعي :

(المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغات للجلال السيوطي) .

ونقصد بها طريقة جمع الكلمات وفق موضوعات مشتركة فسي حيز واحد، بمعنى أن يكون الموضوع هو الجامع لعدد من المفردات في الترتيب.

ففي مجالنا هنا يصح أن يوصف صنيع السيوطي في معجمه المتوكلي بأنه جاء وفق الترتيب الموضوعي، لأنه جمع ألفاظ كل لغة ورتبها في حيز واحد وفق اللغة الأم التي انحدرت منها إلى المعجم العربي، بحيث صنع باباً للألفاظ العبرانية، وآخر للألفاظ الحبشية وغيره للألفاظ اليونانية وهكذا إلى أن جاء على كل الألفاظ المعربة التي

استخدمها القرآن الكريم مرتبة كل مجموعة منها وفق موضوع واحد هو لغتها الأصل التي نقلت منها.

وقد أشار السيوطي بما يوحي بذلك الترتيب وإن لم يصرح به في مقدمة كتابه حيث يقرر أن كتابه هذا مؤلف في الألفاظ التي وقعت في القرآن الكريم وذكر الصحابة والتابعون أنها بلغة الحبشة، أو الفرس، أو غيرهم مما سوى العرب^١.

وتسمية هذا المنهج الذي صار عليه السيوطي في معجمه المتوكلي بالموضوعي أمر منطقي بالنظر إلى طريقة تبويب للكلمات مجموعة تحت كل لغة أصلية انحدرت منها إلى العربية.

والذي يشغل مستخدم هذا المعجم أو طالبه ليس معرفة أعيان الألفاظ الأعجمية بل يبدو أنه يعرفها بأعيانها، لكنه يريد أن يراها مجموعة تحت أصلها الذي وردت منه.

وهذا المراد من المستخدم user هو ما يحققه المعجم الموضوعي الذي ظهر في لتاريخ العربي منذ زمان طويل يعود إلى القرن الثاني الهجري ذلك أن المعاجم التي من هذا النوع تهدف إلى جمع الألفاظ المتحدة في الموضوع^٢، والموضوع المتحد هنا، هو للغة الأعجمية المعينة التي أورد تحتها السيوطي الكلمات المنتمية إليها مما ورد في القرآن الكريم وقد احتوى هذا الكتاب / المعجم أحد عشر بابا للغات التي مثلت بمفردات أعجمية عربيت واستخدمها القرآن الكريم كما يلي:

^١ المتوكلي ص ٣٠.

^٢ انظر في ماهية المعجم الموضوعي thematic dic ومعناه كتاب: معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث ص ١٥ وما بعدها والمعجمية العربية بين النظرية والتطبيق ص ٤٩.

١- ذكر ما ورد في القرآن بلغة الحبشة، وفيه:

شطر (تلقاء)، والجبت (الشيطان)، والطاغوت (الكاهن)،
وحوب (إنم)، وأواه (المؤمن)، وابلعي (ازددي)، ومنكأ (الترنج
أو الأترج، نوع فاكهة)، وطوبى (الجنة)، وسكر (الخل)، وطه
(يا محمد)، وحرام (واجب)، والسجل (الرجل)، والمشكاة
(الكوة)، وأوتى (سبحي)، والعرم (المسناة: أي التي يجتمع فيها
الماء)، والمسناة (العصا)، ويس (يا إنسان)، وأوتب (مُسبِح)،
وكفل (ضعف)، ناشئة (قيام)، منقطر (ممتلئ)، قصورة (أسد)،
ويمور (يرجع)، وسنين (الحسن)، وراثك (مُرر)، ويسدون
(يضجون)، ونري (المُضئ)، وغيض (نقص).

٢- ذكر ما ورد في القرآن بالفارسية، وفيه:

الإسبرق (الدباج الغليظ)، وسجيل (الطين المتحجر)،
وكوزت (غورت)، ومقاليد (مفاتيح)، وأباريق (طريق الماء)،
وبيع (الكنايس)، ولتتور (ما يخبز فيه)، وجهنم، ودينار، والرِس
(بنز، معدن...)، والروم، وزنجبيل، وسجين (حساب)،
وسراق، وسقر، وسلسبيل، وسندس، وقرطاس، وأفقال،
وكافور، وكنز، وللمجوس، والياقوت، والمرجان، ومسك،
وردة، وهود، واليهود.

٢- ذكر ما ورد في القرآن بالرومية = (اللاتينية واليونانية في

اصطلاح المعاصرين) يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي في
كتابه: دفاع عن القرآن ضد منتكديه - علينا أن نشير هنا أن

^١ انظر: المتوكلي ص ٩٢ حاشية ١ ودفاع عن القرآن ضد منتكديه ص ١٤٧.

كلمة (رومية) تدل على اليونانية واللاتينية على حد سواء^١. وفي هذا الفصل ذكر لما يلي:

صرهن (قطعتهن)، فردوس (بستان)، وقسط (عدل)،
 وقسطاس (عدل)، وطق (قصد)، ورقيم (الروح)، وصراط
 (طريق)، وقنطار (١٢٠٠٠ أوقية)، وعدن (استقرار).

٤- ذكر ما ورد في القرآن بالهندية، وفيه:

ابلعي (اشربي)، وطوبى (جنة)، ومسندس
 (رقيق الديباج).

٥- ذكر ما ورد في القرآن بالعبرانية، وفيه:

سرى (نهر)، وطه (يا رجل)، وعدن (كروم)، وفردوس
 (جنات أعناب)، والطور (الجبل)، وهونا (حكماء)، وهيت لك
 (اقترب)، ولات (ليس)، والربانيون والربيون (عالم بالشرعية)،
 ورهو (ساكن)، سجد (مقنعو الرعوس)، وقيوم (من لا ينام)،
 والأسفار (الكتب)، والقمل، واليم (البحر)، والشهر، وصلوات
 (كنائس)، وأنر (مخطئ)، والقنطار (ملة وعاء ذهب).

٦- ذكر ما ورد في القرآن بالعبرانية، وفيه:

كفر (محا)، وهونا (حلماء)، وأخذ (ركن)، وهندا (تينا)،
 والمرقوم (المكتوب)، والرمز (تحريك الشفتين)، الفوم
 (الحنطة)، الأواه (كثير الدعاء)، وطوى (رجل)، واليم (البحر)،

^١ نفاع عن القرآن ضد منتقديه ص ١٤٧.

والرحمن، والأليم (الموجع)، وبعبير (حمار)، ودارست (قرأت)،
وحطة (استغفار)، والأسباط (القبائل)، وراعنا (من الحمق)،
ولينة (نخلة)، وقاسية (صلبة)، وهسيون (رؤساء النصارى).

٧- ذكر ما ورد في القرآن بالنبطية (لهجة أرمية)، وفيه:

سيناء (الخُسن)، وأسفار (كتب)، والحواريون
(الغسالون)، والأكواب (جرار من غير عرى)، وتببير (تدمير)،
والمزى (النهر)، والسفرة (القراء)، وصرهن (شققهن)، وطه
(يا رجل)، والطور (الجبل)، والفردوس (الكرم)، والملكوت
(الملك)، وهيت (هلم)، والإل (اسم الله تعالى)، ورو (دمت)،
وعبذ (قتل)، ووراء (أمام)، والوزر (الجبل)، قطننا (كتابنا)،
وإصر (العهد)، وكفر (أضح)، والمقاليد (المفاتيح)، وكفلين
(نصييان)، واليم (البحر).

٨- ذكر ما ورد في القرآن بالنبطية، وفيه:

متكأ (أترج)، ومناص (فرار)، ومزجاة (قليلة)، وتحت
(بطن)، وبطائن (ظواهر)، والأولى (الأخرة)، والأخرة
(الأولى).

٩- ذكر ما ورد في القرآن بالتركية، وفيه:

غناق (البارد المنتن).

١٠- ذكر ما ورد في القرآن بالزنجية (الحامية)، وفيه:

حصب (حطب)، والأليم (الموجع)، والمنسأة (العصا).

١١- ذكر ما ورد في القرآن بالبربرية، وفيه:

المُهَل (عكر الزيت)، وإناءه (نضجه)، وأن (الذي انتهى حره)، وأنية (حارة)، ويصهر (ينضج)، وأبّ (الحشيش)، والقنطار (ألف متقال من ذهب).

ولم نجد منها محددًا يستقيم عليه ذلك الترتيب الذي فعله السيوطي في معجمه هذا، فهو لم يرتب اللغات ترتيبًا هجائيًا ولا أبجديًا بدليل أن آخر فصل عده كان للألفاظ البربرية وقبله ما سبق أن رأيت من أسماء اللغات العشر.

كما لم يستقم هذا الترتيب على المنهج الكمي، بمعنى أنني افترضت أن السيوطي رتب اللغات حسب أكثرها إسهامًا بالألفاظ المعربة التي وردت في الذكر الحكيم؛ وسوف يتضح من جدول كثافة المفردات وتوزيعها على لغاتها المنتمية إليها ما نقرره هنا من عدم استقامة المنهج الكمي معيار القياس ما يمكن أن يكون قد فعله السيوطي في ترتيبه اللغات في هذا المعجم الموضوعي.

ونحن نرجح أن يكون السيوطي قد رتب معجمه موضوعيًا - فيما يبدو بعد طول فحص وتأمل - على ما يمكن أن يسمى بالمنهج الجغرافي المستقى من قول الله سبحانه ﴿ لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴾ [سورة قريش ١٠٦ / ١-٢] وهو منهج يخلو فيه للمؤلفين المسلمين أن يتبركوا فيبدعوا بما بدأ الله سبحانه وتعالى به! وقد كانت رحلة الشتاء إلى الجنوب ورحلة الصيف إلى الشمال.

جاء عند الماوردي في النكت والعيون " أن رحلة الشتاء كانت إلى اليمن (الجنوب) لأنها بلاد حامية، ورحلة الصيف كانت إلى الشام، لأنها بلاد باردة^١.

وفي هذا التأويل قدر كبير من الإفراط أو الشطط من جانبنا، لكنه مع إقرار القول بالإفراط أولى في النظر من القول بأن السيوطي لم يتبع منها في ترتيب الموضوعات أو اللغات وهو ما يسميه الدكتور علي القاسمي: بالمنهج العشوائي؛ في الصناعة المعجمية، أو بالترتيب العشوائي^٢.

ومن هنا يمكن أن نقول إن السيوطي رتب معجمه المتوكلي وفق الموضوعات أو اللغات، ثم رتب هذه الموضوعات أو اللغات من الجنوب إلى الشمال.

وفي داخل كل فصل أو تحت كل موضوع أو لغة أورد الألفاظ المعربة من دون ترتيب، وقد افترض البحث أن يكون السيوطي قد رتب الألفاظ ترتيبا هجائيا جنزيا أو وفق منطوق الكلمة النهائي؛ ففي الباب الأول في ذكر ما ورد في القرآن بالحشوية: شطر ثم الحبت ثم الطاغوت وأنت ترى أنه ترتيب لا يستقيم مع المنهج الهجائي.

ولم يرتب السيوطي الألفاظ وفق الترتيب المصحفي، أي بترتيب ورود الكلمات في داخل كل لغة وفق ورودها في سور المصحف الشريف باستثناء الفصل الأول، فإن كانت كلمات الباب الأول في ذكر ما ورد في القرآن بالحشوية يمكن حملها على أنها رتبت وفق ورودها

^١ تصدير الماوردي أو النكت والعيون ٤/٤٤٩.

^٢ المعممة العربية بين النظرية والتطبيق ص ٤٨.

في المصحف الشريف على ترتيب السور فإنه لم يحافظ على ذلك الترتيب فيما تلا الفصل الأول.

ففي الباب الأول جاءت الكلمات التالية (يرجى ملاحظة

تسلسل أرقام السور) :

﴿ شطر ﴾ في سورة البقرة ١/١٤٤ .

﴿ الجبت والطاغوت ﴾ في سورة النساء ٤/٥١ .

ويعد الجبت جاءت كلمة ﴿ حوبا ﴾ في سورة النساء ٣/٤ .

﴿ لأواه ﴾ في سورة التوبة ٩/١١٤ .

﴿ ابلعي ﴾ في سورة هود ١١/٤٤ .

﴿ متكأ ﴾ في سورة يوسف ١٢/٣١ .

﴿ طوبى ﴾ في سورة الرعد ١٣/٢٩ .

﴿ سكرأ ﴾ في سورة النحل ١٦/٦٧ .

﴿ طه ﴾ في سورة طه ٢٠/١ .

﴿ حريم ﴾ في سورة الأنبياء ٢١/٩٥ .

﴿ السجل ﴾ في سورة الأنبياء ٢١/١٠٤ .

﴿ كمشكاة ﴾ في سورة النور ٢٤/٣٥ .

﴿ أوبى ﴾ في سورة سبأ ٣٤/١٠ .

﴿ العرم ﴾ في سورة سبأ ٣٤/١٦ .

﴿ منسأته ﴾ في سورة سبأ ٣٤/١٤ .

﴿ يس ﴾ في سورة يس ٣٦/١ .

﴿ أواب ﴾ في سورة ص ٣٨/١٧ .

﴿ كفلين ﴾ في سورة الحديد ٥٧/٢٨ .

﴿ ناشئة ﴾ في سورة المزمل ٧٣/٦ .

- ﴿ منظر ﴾ في سورة المزمل ١٨/٧٣.
- ﴿ قسورة ﴾ في سورة المئثر ٥١/٧٤.
- ﴿ يحور ﴾ في سورة الإنشفاق ٤١/٨٤.
- ﴿ سنين ﴾ في سورة ٢/٩٥.

وقد خرج عن هذا المنهج في هذا الباب حيث جاء بالكلمات

التالية:

﴿ الأرائك ﴾ وهي في سورة الكهف ٣١/١٨، ويس ٥٦/٣٦،
والإنسان ١٣/٧٦، والمطففين ٣٥٤٢٣/٨٣.

﴿ يصدون ﴾ وهي في سورة الزخرف ٥٧/٤٣.

﴿ السدي ﴾ وهي في سورة النور ٣٥/٢٤.

﴿ غيض ﴾ وهي في سورة هود ٤٤/١١.

ويبدو أن هذا القسم من الكلمات مما لم يثبت عنده أنه من

الأعجمي المعرب ولذلك أفردته في آخر الباب من دون ترتيب!

وقد قدمنا أن السيوطي لم يحافظ على هذا الترتيب المصحفي في

بقية فصول الكتاب ففي الفصل الثاني الذي خصصه للكلمات المعربة من

الفارسية وردت الكلمات التالية:

﴿ الإستبرق ﴾ في سورة الكهف ٣١/١٨.

ثم ﴿ سجيل ﴾ في سورة هود ١٨٢/١١

ثم ﴿ كورت ﴾ في سورة سورة التكوير ١/٨١.

ثم ﴿ أباريق ﴾ في سورة الواقعة ١١٨/٥٦

ويصح أن يكون هذا المعجم مثلاً جيداً وصالحاً على ما يسمى بالترتيب العشوائي، حيث وردت الألفاظ - على الأقل فيما بعد الموضوع الأول - كيفما اتفق من غير منهج حاكم، وفي هذا يقول الدكتور علي القاسمي إن المقصود بهذا الترتيب اللانظامي هو: "وضع المداخل دون اتباع أي نظام، ودون انتهاج أي نمط واضح معروف الأصول - ولا يتحكم بإدراج مدخل بعد آخر إلا مجرد المصادفة"^١.

وهذا كلام صحيح فيما يتعلق بترتيب الألفاظ داخلياً؛ لأن السيوطي أورد الكلمات المنتمية إلى لغة ما مجموعة تحت هذا العنوان لهذه اللغة أو تلك من غير مراعاة لأي ترتيب.

وقد توزعت فصول المعجم على إحدى عشرة لغة هي مجمل موضوعات الكتاب، ولكن اختلفت كثافة الألفاظ تحت كل موضوع أو لغة، والجدول التالي يوضح هذه الكثافة بالعدد والنسبة المئوية:

ملاحظات	النسبة المئوية	كثافة الألفاظ العربية المنتمية للغة الأصل	اللغة
	٪٢٢,٤	٢٨	١- الحبشية
	٪٢١,٦	٢٧	٢- الفارسية
	٪٧,٢	٩	٣- الرومية
	٪٢,٤	٣	٤- الهندية
	٪١٦,٠	٢٠	٥- السريانية
	٪١٦,٠	٢٠	٦- العبرية
	٪١٩,٢	٢٤	٧- النبطية

^١ المعمجة العربية بين النظرية والتطبيق ص ٤٨.

	٥,٦%	٧	٨- القبطية
	٠,٨%	١	٩- التركية
	٢,٤%	٣	١٠- الزنجية
	٥,٦%	٧	١١- البربرية
		<ul style="list-style-type: none"> • ١٢٥ كلمة من غير المكرر • ١٤٩ بما في ذلك العدد المكرر • العدد المتنازع في نسبته بين اللغات ٢٤ كلمة بنسبة ١٩,٢% 	مجموع الألفاظ العربية في القرآن

وهذا الجدول يبرز الحقائق التالية:

١- اتساع دائرة تمثيل اللغات التي افترض منها العرب قبل نزول الوحي الكريم، واستعمال القرآن لها جميعا دليل على الانسجام المعرفي الذي يقضي في نصوصه المحكمة بحرية الآخر في العقيدة^١ بنص آيات كثيرة منها: قوله تعالى ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٥٦]، وقوله عز وجل ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ [سورة الكافرون ١٠٣/٦]، وقد وردت ألفاظ من لغات الشعوب ذات الدين السماوي من مثل الحبشية والسريانية والعبرية، كما وردت ألفاظ من لغات الشعوب الوثنية من مثل الفارسية وغيرها.

^١ انظر: الدر المنثور ٣/١٥٩ وما بعدها وتفسير الماوردي ٤/٥٥٧.

٢- وينفي هذا الجدول بهذا الترتيب الاحتمال الذي سبق لهذا البحث افتراضه ونفيه - وهو أن يكون السيوطي قد رتب اللغات وفق المنهج الكمي، أي أنه قدم اللغة التي أسهمت بألفاظ أعجمية معربة أكثر من التي تليها.

أما عن مصادره التي استقى منها هذه الألفاظ فهي كثيرة، يتركز غالبها في صف مؤلفات التفسير؛ لأنها ألفاظ في القرآن الكريم منها:

تفسير ابن جرير الطبري (انظر مثلاً: ٣٣)، والمصنف لابن أبي شيبة (٣٤)، وتفسير ابن المنذر (٣٥)، وتفسير ابن النقيب (٣٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣٧)، وسؤلات نافع بن الأزرق لابن عباس برواية الطستي (٣٩)، والمستدرک للحاكم (٤٧)، وفنون الأفتان لابن الجوزي (٦٣؛ ١٢٩؛ ١٤٦؛ ١٥٦)، والبرهان في مشكلات القرآن لشينذلة (٦٤)، والإرشاد للواسطي (٦٤)، ولغات القرآن لأبي القاسم [اللاكائي] (٦٥؛ ١٤٣)، والمعرب للجواليقي (٧٤؛ ١١٩؛ ١٥٤)، والزينة لأبي حاتم اللغوي (١٠٠؛ ١١٥)، وفقه اللغة للثعالبي (١٠١)، والمحنتب لابن جني (١٢٠؛ ١٤٢)، والعجائب والغرائب للكرماني (١٢٨؛ ١٥٠)، وبعض ما روي عن المبرد وثلعب وابن خالويه (١٢٩؛ ١٣١).

ويتضح من هذه القائمة مدى العناية بنقل آراء المفسرين المنتمين لمدرسة التفسير بالرواية أو المأثور؛ وهو التزام من جانب السيوطي لحسم مادة الخلاف التي دارت حول إقرار المعرب في القرآن الكريم من عدمه، فكان لجوؤه إلى النقل والرواية عن الصحابة والتابعين

لأنهم أعلم بكتاب الله من غيرهم؛ أو لأن "هؤلاء أعلم بالتأويل" ممن جاء بعدهم^١.

وقد استخدم السيوطي في هذا المعجم طرقاً متعددة في شرح الألفاظ المعربة منها طريقة التعريف في مثل قوله في تعريف القنطار ١٢٢ "وإن القنطار بالسريانية ملء جلد ثور ذهباً أو فضة".

ومنها طريقة الشرح بذكر المرادف في مثل قوله في تعريف القسطاس ٩٧ "القسطاس العدل بالرومية".

كما سكت عن كثير من الألفاظ فلم يشرحها اكتفاءً بوضوحها وهو ما نسميه بالشرح السكوتي^٢ كما فعل في الألفاظ المعربة التالية: ٧٥-٩١ بيع وكنايس والتور وجهنم ودينار والرس والروم وزنجبيل الخ.

(ب) مدرسة الترتيب الهجائي الألفبائي (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب)

ويقصد بالترتيب "الهجائي لمداخل المعجم في اصطلاحنا إنن هو ذلك الترتيب الذي تدرج فيه مداخل لمعجم وفقاً لتسلسل حروف

^١ المعرب للجواليقي ٥ وانظر: المزهري في علوم اللغة ٢٦٨/١ والمتوكلي ٣٣ والإتقان في علوم القرآن ١١٢/٢ والمهذب ٥٨ وفصول في فقه العربية ٣٦٠.

^٢ انظر في بيان مفهوم هذه الطريقة وغيرها من طرق شرح المعنى المعجمي ما يلي: المعاجم العربية في ضوء علم اللغة الحديث ١٠٢ وصناعة المعجم الحديث ١٢٠ وترات المعاجم اللغوية في العربية ٢٢٩ والمعاجم الأصولية في العربية ٢١٣.

الهجاء وعندما نتحدث عن الترتيب الهجائي في الوقت الحاضر فإننا نشير إلى الترتيب الألفبائي وحده^١.

وقد ألف السيوطي معجمه الثاني في المعرب القرآني ورتب مفرداته خارجيا وفق هذا الترتيب الهجائي الألفبائي مبتدأ بالألفاظ التي أولها همزة ومنتهيا بالألفاظ المبدوءة بالياء وفق شكل الكلمة النهائي المنطوق والواردة في الذكر الحكيم.

وهذا المعجم المرتب ترتيبا هجائيا ألفبائيا هو المهنذب فيما وقع في القرآن من المعرب، يقول السيوطي عنه "هذا الكتاب تتبعت فيه الألفاظ المعربة التي وقعت في القرآن مستوعبا ما وقفت عليه من ذلك مقرونا بالعزو والبيان"^٢.

وقد أورد السيوطي في مقدمة معجمه آراء المتشددين في القول بوجود المعرب في القرآن الكريم من مثل الشافعي وأبي عبيدة وابن فارس، ثم أرفغهم بذكر آراء القائلين بوجوده في الذكر الحكيم من مثل أبي عبيد القاسم بن سلام والثعالبي والجويني ورجح رأيهم واختاره حيث قال عن ذلك: "وأقوى ما رأيته وهو اختياري"^٣.

ثم ذكر أنه سيسير في ترتيب هذه الألفاظ التي قال بأعجميتها وتعريبها وفق الترتيب الهجائي الألفبائي حيث قال ٦٥ "وهذا سرد الألفاظ الواردة في القرآن مرتبة على حروف المعجم".

^١ المعمجة العربية بين النظرية والتطبيق ٥٩ وانظر: معجم المصطلحات اللغوية للبلنكي ٤٠
Dictionary of lexicography 5

^٢ المهنذب ٥٧.

^٣ المهنذب ٦٠.

وواضح أنه لم يلجأ إلى التجريد أو الرد إلى الجذور، وإنما أتى بالكلمات كما وردت في القرآن الكريم على هيأتها المذكورة فيه.

وقد رتبها داخليا مراعيًا الثواني والثالث وهكذا، فهو مثلا في باب الهمزة بدأ بأباريق ثم أب ثم ابلي ف جاء بالهمزة والباء ثم الألف، وبعدها بالألف والباء ثم الباء وهكذا.

وفي باب الباء أورد بطائنها أولا ثم بعير بعدها ثم بيع على ما ترى من ترتيب راعي فيه ترتيب حروف الهجاء داخليا.

وقد بلغت الكلمات المعربة في المهنّب العدد نفسه الذي في المتوكلي وهو مئة وخمس وعشرون كلمة.

ومصادره هنا هي مصادره في المتوكلي.

والظاهر لقارئ المهنّب أن عدد اللغات الأجنبية التي أسهمت في إمداد العربية ببعض كلماتها المعربة يفوق عدد اللغات في المتوكلي، فهي على حين بلغت في المتوكلي إحدى عشرة لغة، وصلت إلى اثنتين وعشرين لغة غير أن فحص هذا العدد الزائد سيرتد إلى العدد نفسه المستخدم في المتوكلي، ذلك أن السيوطي استخدم في تسمية اللغات أسماء مترادفة كثيرة هي السبب الحقيقي في زيادة عددها في المهنّب، فهو مثلا يعبر عن السريانية باسمين هما السريانية والآرامية، ويسمى الرومية ثم يعود فيذكر ما يندرج تحتها من الإغريقية أو اليونانية واللاتينية، ويسمى الزنجية ثم يعود فيسميها لسان أهل إفريقية، ويسمى العبرية ثم يعود فيسميها باليهودية وهكذا.

وقد استخدم السيوطي في هذا المعجم الطرق نفسها التي استخدمها في المتوكلي في شرحه لمعاني الألفاظ الأعجمية، مركزا على

منهج الرواية عن أصحاب التفسير ليؤيد اختياره الذي مال إليه من القول بوجود المعرب في القرآن الكريم.

(ج) مدرسة الترتيب الصرفي (أو النوعي)
(رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية)

ويقصد به ترتيب الكلمات وفق "انتماءاتها الصرفية"^١ وهو ما يسميه الدكتور علي القاسمي بالترتيب النحوي.

وقد ألف ابن كمال باشا رسالته التي عنوانها (رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية) على وفق هذا الترتيب حيث نظر إلى أقسام الكلمة الأعجمية بعد تعريبها فاستقر النظر على أنها أربعة أقسام (ص ٤٤) هي:

- أحدها : ما لم تتغير ولم تكن ملحقة بأبنية كلامهم.
- وثانيها : ما لم تتغير ولكن كانت بأبنية كلامهم.
- وثالثها : ما تغيرت ولكن لم تكن ملحقة بها.
- ورابعها: ما تغيرت وكانت ملحقة بها.

وهذا كما نرى ترتيب نوعي راعى فيه الأقسام الصرفية التي تتدرج تحتها الكلمات الأعجمية بعد تعريبها وقد سار على ذلك في أثناء الكتاب، ويؤكد ذلك قوله (ص ٥٠).

"وأما القسم الأول منه ... ثم قال (ص ٨٠) "وأما القسم الذي غيروه ولكن لم يلحقوه بأبنية كلامهم ... ثم قال (ص ٨٤) "وأما القسم الذي استعملوه على حاله ولم يتصرفوا فيه أصلاً ...".

^١ المعمجة العربية بين النظرية والتطبيق ٥٣.

هذا عن الترتيب الخارجي أما في داخل كل قسم فقد وردت الألفاظ ورتبت داخليا من غير منهج هكذا بشكل عشوائي غير خاضع لنظام ما.

أما عن مصادره فقد توسع ابن كمال باشا في ذكر المعاجم ولاسيما التي عرف عنها بعض العناية بالمعرب من مثل:

شرح الألفية لابن أم قاسم المرادي (٤٦)، والصحاح للجوهري (٤٧)، وضرام السقط شرح ديوان المعري لصدر الأفاضل الخوارزمي (٤٩)، ودرة الغواص للحريري (٥٠)، والكتاب لسبويه (٥٢)، والفائق للزمخشري (٥٣)، وشرح ديوان المتنبي للواحدي (٥٤)، ومغني اللبيب لابن هشام الأنصاري (٥٥)، والمغرب للمطرزي (٥٨)، ومفاتيح العلوم = التفسير الكبير للفخر الرازي (٥٨)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (٦١)، والمعارف لابن قتيبة (٦٩)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٧٠)، وشرح المفاتيح للتفتازاني والشريف الجرجاني (٧٠)، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٧٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧٩)، وتفسير الكشاف للزمخشري (٨٠).

وقد برزت شخصية ابن كمال باشا في تحقيق عدد من الألفاظ الأعجمية التي عربت وخالف فيها عددا من أئمة اللغة ومن هذه المواطن التي ظهرت فيها شخصيته النقدية ما جاء في سياق حديثه عن تعريب ساباط لموضع بالمدائن حيث قال ٧٥ "ومن غريب التعريب، تعريب ساباط فإنه معرب (بلاش آباد) وعلى ما صرح به صاحب القاموس [ينظر ٣٦٠/٢]، حيث قال: ساباط اسم موضع بالمدائن... وعندني أن ساباط معرب شاه آباد وحينئذ تزول الغرابة، وشاه آباد مركب من كلمتين إحداهما شاه ومعناه العظيم... وأباد ومعناه المعمور".

ومثل ذلك كثير في ٧٥ عند حديثه عن تعريب كنيسة، وفي ٦٤ عند حديثه عن تعريب الطست حيث قال "وهو لفظ فارسي وهم فيه الإمام المطرزي".

وقد اعتنى ابن كمال باشا بتحليل المعربات وبيان أصولها، وكيفية تركيب هذه الأصول.

وقد استخدم ابن كمال باشا طرقا كثيرة في شرح معاني هذه الألفاظ التي نكرها ومثل على صحة معانيها التي أوردها لها بطرق كثيرة كانت في الغالب تدور حول طريقة التعريف وطريقة نكر المرادف وطريقة ضرب الأمثلة.

ومراجعة قوائم الألفاظ المعربة القرآنية عند السيوطي وقوائم الكلمات عند ابن كمال باشا تبرز أن العرب اقترضوا من الأمم المجاورة لهم ممن ارتبطت بهم في علاقات — ألفاظا تتعلق بالشأن الحضاري من ملابس وأطعمة وعبور وأسماء مدن إلى غير ذلك.

وهذا هو المألوف عند القول باقتراض لغة من لغة، لأن المعاني القلبية أو الوجدانية ملك أو شركة بين لغات الأمم جميعا اللهم إلا إذا كان معنى قلبيا خاصا بأمة من دون غيرها، كما حدث في نقل العرب لكلمة الزنديق من الفارسية؛ لأنها تصف ما كانوا عليه من اعتقاد فاسد في الثوية، يقول ابن كمال باشا ٥٧ "ومن المعربات: الزنديق، صرح به الجوهري حيث قال في الصحاح [زندق ٤/١٤٨٩] الزنديق من الثوية وهو معرب ... أي مبطن للكفر".

فقله العرب ليطلقوه على من يتعامل بغير أخلاق المسلمين وآدابهم أو معتقداتهم ممن يظهرون الإسلام ويبطنون غيره!

ومراجعة قائمة ابن كمال باشا تؤكد ذلك الذي قلنا من أمر النقل
لما يخص الموضوعات الحضارية وهي:

الدرهم والشطرنج والمهندس والبانق والبريد والطست
والسرادق والسياسة والأجرّ.... الخ.

مما يؤكد المقولة التي قام عليها هذا البحث وهي أن العرب
المسلمين لم ينفوا الآخر، وقد فحص هذه الدعوى وقام على تأكيدها ما
لاحظنا من العناية بالمعرب في القرن العاشر الهجري في اللغة عموماً
كما ظهر عند ابن كمال باشا وفي النص القرآني للكريم خصوصاً كما
ظهر عند السيوطي .

فهرس مراجع البحث

- الإلتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، سنة ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م.
- تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، ترجمة الدكتور عمر صابر عبد الجليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٩٥م.
- تراث المعاجم الفقهية في العربية، دراسة لغوية في ضوء أصول صناعة المعجم والمعجمية، للدكتور خالد فهمي، إيتراك، القاهرة، سنة ٢٠٠٣م.
- تفسير الماوردي - النكت والعيون للماوردي، تحقيق خضر محمد خضر، دار الصفاة بالقاهرة ووزارة الأوقاف الكويتية، سنة ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، تحقيق الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، وآخرين، دار هجر، القاهرة، سنة ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.
- دفاع عن القرآن ضد منتقديه، للدكتور عبد الرحمن بدوي، الدار العالمية للكتب والنشر، القاهرة، سنة ١٩٩٩م.

- دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها، لأحمد الخازن دار
ومحمد إبراهيم الشيباني، مكتبة ابن تيمية، الكويت، سنة
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية، لابن كمال باشا،
تحقيق الدكتور أحمد الحسيبي، والدكتور عبد الكريم الزبيدي،
القاهرة، سنة ١٩٨٥م.
- صحاح اللغة وتاج العربية، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور
عطار، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- صلة الموشحات والأزجال بشعر التروبادور، للدكتور عبد
الهادي زاهر، مكتبة الشباب، القاهرة، سنة ١٩٨٨م.
- صناعة المعجم الحديث، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب،
القاهرة، سنة ١٩٩٨م.
- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال، لأبي الوليد
بن رشد، تحقيق الدكتور محمد عمارة، دار المعارف، سنة
١٩٨٣م.
- فصول في فقه العربية، للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة
الخانجي، القاهرة، سنة ١٩٨٧م.
- قاموس علم الاجتماع، للدكتور محمد عاطف غيث، دار
المعارف الجامعية، الإسكندرية، سنة ١٩٨٨م.

- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مصورة الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، سنة ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م عن طبعة المطبعة الأميرية، القاهرة، سنة ١٣٠١هـ.
- قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفولكلور، لإيكة هولتكرانس، ترجمة الدكتور محمد الجوهري، والدكتور حسن الشامي، هيئة قصور الثقافة، القاهرة، سنة ١٩٩٩م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، إستانبول، سنة ١٩٤٥م مصورة دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.
- مؤرخو مصر الإسلامية، لمحمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م.
- المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغات، للسيوطي، تحقيق الدكتور عبد الكريم الزبيدي، جامعة سبها، طرابلس، ليبيا، سنة ١٩٨٦م.
- المزهري في علوم اللغة، للسيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار التراث، القاهرة، سنة ١٩٥٨م.
- مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، لمحمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٣٨٨هـ = ١٩٦٩م.
- المعاجم الأصولية في العربية دراسة لغوية في النشأة والصناعة والمعجمية، للدكتور خالد فهمي، إيتراك، القاهرة، سنة ٢٠٠٥م.
- المعاجم عبر الثقافات دراسات في المعجمية، لهارتمان، ترجمة الدكتور محمد محمد حلمي هليل، مؤسسة التقدم العلمي، الكويت، سنة ٢٠٠٤م.

- المعاجم العربية في ضوء علم اللغة الحديث، للدكتور محمد أحمد أبي الفرج، دار النهضة العربية، بيروت، سنة ١٣٨٥هـ=١٩٦٦م.
- معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، للدكتور محمود سليمان ياقوت، مكتبة المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة ٢٠٠٢م.
- معجم المصطلحات اللغوية، للدكتور رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٩٠م.
- المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، للدكتور علي القاسمي، مكتبة لبنان، بيروت، سنة ٢٠٠٣م.
- المعرب من الكلام الأعجمي، للجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، القاهرة، سنة ١٩٦١م.
- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، للسيوطي، تحقيق الدكتور التهامي الراجي الهاشمي، المغرب والإمارات، بدون تاريخ.
- **Dictionary of lexicography, by R. R.Hartmann and Gregory James, London and New York, 1998.**



منتدی سور الأزبکیه

WWW.BOOKS4ALL.NET